روائع المسرح العالمى

٢٦

الأستاذ كلينوف

تأليف مدام كارن برامسون

ترجمة صلاح الدين كامل

مراجعة يحيى حقى

تقديم الدكتور محمد مندور

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

الأستاذ كلينوف
بين الواقعية والطبيعية
بقلم
دكتور محمد مندور

ليست مسرحية « الأستاذ كلينوف » للكاتبة الدانمركية المعاصرة « كارين برامسون » بجديدة كل الجدة على عالمنا العربى، فلقد سبق أن لخصها الدكتور طه حسين فى جريدة « السياسة الأسبوعية » ثم نشر تلخيصه فى كتابه « قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين » الذى نشره لأول مرة سنة ١٩٢٤ كما سبق أن ترجمها الى العربية المرحوم الأستاذ أحمد يوسف وقدمها الى الفرقة القومية التى قامت بتمثيلها فى سنة ١٩٤١ وقام ممثلنا الكبير المثقف المرحوم « منسى فهمى » فيها بدور الأستاذ كلينوف بطل المسرحية ، كما قامت السيدة « روحية خالد » بدور « اليز » وقام الأستاذ أحمد علام بدور « فيدل » كما قام الأستاذ فؤاد شفيق بدور « فورسبرج » ، ولكننى أحسب أن هذه هى أول مرة تقدم فيها هذه المسرحية الى قراء العربية فى ترجمة دقيقة أقرب ما تكون الى نصها الفرنسى الذى نشرته لأول مرة مجلة « لابتيت السترسيون » سنة ١٩٢٣

عندما مثلها مسرح « الأوديون » بباريس ، وقامت مؤلفتها الكاتبة الدانمركية « كارين برامسون » بترجمتها بنفسها من اللغة الدانمركية الى اللغة الفرنسية كما انتدب أحد كبار الممثلين الدانمركيين العاملين عندئذ بالمسرح الملكى بكوبنهاجن للاشتراك فى تمثيلها مع كبار الممثلين الفرنسيين .

ومن المقدمة التى كتبتها مجلة « لابتيت الاستراسيون » لمسرحية « الأستاذ كلينوف » نتبين أنها قد لقيت عندما مثلت بباريس فى سنة ١٩٢٣ نجاحا كبيرا ، ويحدثنا الدكتور طه حسين أيضا عن الاستقبال الحماسى الذى استقبلت به هذه المسرحية من النقاد الفرنسيين عندما عرضت بباريس ، وبمراجعة قوائم دور النشر الفرنسية ، وبعض التعريفات التى تنشرها نعرف أن المؤلفة « كارين برامسون » الدانمركية الأصل قد أقامت فى فرنسا زمنا طويلا كما أتقنت اللغة الفرنسية ، وكتبت بها احدى مسرحياتها ، وهى مسرحية « الخصوم » كما ترجمت لها عدة مجموعات من المسرحيات الى الفرنسية ، وقامت بنشرها دار النشر المعروفة بباريس باسم « فلاماريون » التى قسمت هذه المجموعات بحسب موضوعاتها الى أربع ، واحدة عن المال ، وثانية عن الحب ، وثالثة عن الايمان ، ورابعة عن الكراهية مما يوحى بأن « كارين برامسون » كانت أديبة كبيرة غزيرة الانتاج ولكننا مع ذلك دهشنا أكبر الدهشة عندما عدنا الى الموسوعات ومراجع الآداب العالمية بما فيها الأدب الدانمركى المعاصر ، فلم نجد فيها ذكرى لهذه الكاتبة ولا لمؤلفاتها وتاريخ حياتها حتى رأيتنى ألتمس

بعض العذر لمن كانوا يصدرون روايات الجيب عندما رأيتهم يصفون كارين برامسون بأنها كاتبة بلجيكية ، عندما نشروا مضمون مسرحية الأستاذ كلينوف فى صورة قصة كتبوا تحتها « مأساة عصرية عنيفة لكارين برامسون المؤلفة البلجيكية » مع أنه من الثابت الذى لا يتطرق اليه أى شك أنها دانمركية وان كنا لسوء الحظ لم نستطع أن نعثر لها على تاريخ حياة ، ومع ذلك فقد نشرت مجلة « لابتيت الاستراسيون » مع مسرحية الأستاذ كلينوف صورة للمؤلفة نحس منها انها كانت فى حوالى الأربعين من عمرها عندما نشرت لها تلك المسرحية العاتية .

ومسرحية « الأستاذ كلينوف » نصفها بأنها عاتية رغم بساطة أحداثها ، فهى ليست عاتية بأحداثها ، ولكن بحوارها وما يتصارع داخل هذا الحوار من حقائق نفسية بالغة الشدة والعنف حتى لكأنها تجمع بين جميع المشاعر والنزعات الشريرة التى جمعها الكتاب « الواقعيون » والكتاب « الطبيعيون » خلال القرن التاسع عشر كله .

فالمسرحية يمكن تلخيص أحداثها فى أن رجلا دنيئا شريرا اسمه « فورسبرج » كان يملك حانا لبيع الخمور ، وتدهورت حالته المالية فلم ير وسيلة لانعاشها غير الاتجار بعرض ابنته الجميلة الوديعة « اليز » وهى فى الثانية والعشرين من عمرها حتى ضاقت الفتاة بهذه الحياة القبيحة الدنسة ، وهمت بالانتحار ، ولكنها رهبت الموت ، وهى على حافة الماء الذى

اعتزمت أن تلقى بنفسها فيه ، وتصـــادف أن مر بها فى تلك اللحظة ، وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل « الأســـتاذ كلينوف » وهو أستاذ للفلسفة بالجامعة دميم الخلقـــة ، بل مشوهها ، أعمش العينين ، ومهدد بالعمى ، فنفرت منه أول الأمر ، ولكن غريزة حب الحياة لم تلبث أن تغلبت على اشمئزازها منه ، فقبلت أن تعدل عن الموت وأن تصحبه الى بيته حيث آواها ، واستخدمها فى القراءة والكتابة له وكان « كلينوف » يظهر فى كتبه الفلسفية ، وفى محاضراته الجامعية كراهيته الشـــديدة للجنس البشرى ، وسخطه عليه كله وبخاصة المرأة كما كان يظهر تمرده على الله نفسه ، ولكن كل ذلك لم يكن نتيجة لنظر فلسفى سليم ، بل كان انعكاسا لحقده على البشر ، وسخطه على الله الذى منح غيره من الناس الصحة والجمال والســـلامة بينما رزأه بالدمامة والقبح والمرض ، ولا أدل على ذلك من أنه لم يكد يتحقق من جمال « اليز » ورقة مشاعرها وصفاء روحها حتى أحبها حبا شديدا مسرف الأنانية حتى لنراه يغار غيرة شديدة من شاب نحات صديق له هو الشاب « فيديل » الذى تعرف باليز أثناء تردده على بيت الأستاذ كلينوف وعرف قصتها فأحبها ورغب فى الزواج منها ، غير متوهم أن كلينوف يحب « اليز » كل هذا الحب مما اضطر كلينوف الى أن يبوح بهـذا الحب وأن يطرد فيديل من منزله ، وهنا تتفنن عبقرية الشر عند كلينوف ، فيحتال للاستحواذ على اليز بطـــرق جهنمية ، فبالرغـم من أن اليز فى الثانية والعشرين من عمرها ، أى بالرغم من أنها قد وصلت

الى السن الذى لم يعد معها لأبيها الفاسد عليها ولاية يستطيع بفضلها أن يسترد ابنته كرها ، ويرغمها على البقاء فى بيتـــه ليستغلها الاستغلال الدنىء الذى فضلت معه الموت على الحياة ، الا أن كلينوف يوهم الفتاة عندما لاحقها أبوها يوما فى الطريق حتى عرف أين تقيم ، واقتحم عليها بيت كلينوف بأن هذا الأب الفاسد قد يستخدم حقه القانونى فى استردادها ، ويخبرها ، بأنه لا سبيل الى نجاتها من أبيها الذى تخشاه وتبغضه أشد البغض الا بأن تتزوجه ، وتحاول الفتاة أن تتخلص من هـــذا العرض فى لطف مدعية أنها ليست كفءا لمثل هذا الزواج ولكن كلينوف لا يزال يستخدم مكره الخبيث حتى يضـــطرها الى القبول ، وفعلا يعقد زواجه بها ، ثم يرحل معها فى رحلة تدوم أكثر من شهرين والفتاة لا تكاد تطيق ملمسه وليس بينها وبينه اية علاقة غير الشفقة التى تستشعرها نحوه ، والحقد والقسوة اللذين يستشعرهما نحوها بل ونحو جميع البشر فضـــلا عن مشاهد الطبيعة ذاتها التى يثيره أى حب أو اعجـــاب تظهره « اليز » نحوها مما جعل حياتها معه أقسى من الجحيم حتى فكرت فى النهاية أن تكتب الى « فيديل » لتحدثه عما كان وعن مكان وجودها مع الأستاذ كلينوف ، واذا بفيديل يخف للسفر الى حيث تقيم وينتظر فرصة خروج كلينوف من الفندق للنزهة لكى يدلف الى « اليز » حيث يدور بينهما حوار ينتهى بطلب فيديل اليها أن تفر معه ، ولكن ضعف الشفقة يتغلب عليها مرة أخرى فتأبى الفرار بغير علم كلينوف واستئذانه ، وتعده على أن تلحق به

عند محطة القطار بعد قليل ، ويعود كلينوف من نزهته فتخبره بكل ما حدث وتطلب اليه حريتها فيجيبها متضرعا حينا وساخرا قاسيا متوحشا حينا آخر بأنه لا يعارض فى منحها حريتها ولكنه يود أن تنتظر قليلا حتى تصبح أرملة كلينوف بحكم أنه لن يستمر فى الحياة بعد أن يصيبه العمى الذى لن يطول انتظـــاره له ثم يخبرها فى النهاية أنه باستطاعته أن يعجل هذا الوضع اذا أصرت على الرحيل فورا وذلك بأن يقتل نفسه دون أن ينتظر العمى ، وهنا تتغلب الشفقة على الفتاة فتقرر البقاء معه مكرهة .

وفى الفصل الثالث والأخير ترتفع الستار عن مكتب كلينوف فى منزله وقد أصابه العمى وعلم من خادمته القديمة « مارى » ان « اليز » تكتب الخطابات « لفيديل » فيشتاط غيظا ويزداد شرا وقسوة ويأتى فيديل مرة أخرى ويجدد دعوته لاليز للفرار معه ولكنها لا تستطيع رغم الجحيم الذى تعيش فيه أن تفلت من ضعف الشفقة على الأستاذ كلينوف وبخاصة بعد أن أصيب بالعمى ويخرج فيديل ليدخل كلينوف عائدا من الجامعة حيث يكون حوار جديد بينه وبين اليز حول وضعهما ورغبـــة اليز فى استرداد حريتها ولكن كلينوف يعود الى التهديد بالانتحـــار ويخرج فعلا مسدسا من مكتبه غير أن اليز تأخذه منه وتنتهى المسرحية بأن تطلقه هى على نفسها والأستاذ كلينوف ينحنى على جثتها قائلا لقد ضحى الجمال بنفسه من أجلى ، أيها القـــدر قد عفوت عنك .

الواقعية والطبيعية

لقد لخصت فى شيء من التفصيل هذه المسرحية لكى نستفيد بالتخليص فى اظهار القسمات التى توضح تأثر الكاتبة بالمذهبين الواقعى والطبيعى على النحو الذى جعل المسرحية من النوع البالغ التشاؤم ، فالمذهبان كما هو معلوم من المذاهب المتشائمة فى الأدب الغربى ، أى المذاهب التى تؤمن بغلبة الشر على الخير فى حياة البشر أفرادا وجماعات وان اختلف كل من المذهبين فى مصدر هذا الشر ، فالواقعيون يرون أن معظم الشر نابع من فساد الأوضاع الاجتماعية ، ذلك الفساد الذى يحمل فورسبورج والد اليز فى هذه المسرحية على أن يتاجر بعرض ابنته لترويج تجارة الخمور التى يزاولها فى مخمره ، ويحاول التنصل من اثمه بدعوى خيانة زوجته له من جهة وسوء تدبير أبيه المالى من جهة أخرى وهذا الفساد الاجتماعى هو الذى يضع اليز بين شقى الرحى ، فاما أن تستسلم للزواج من الأستاذ كلينوف كارهة مشمئزة ، واما أن تعيش خائفة مرتعدة من شبح العودة الى بيت أبيها باسم القانون وباسم الولاية الأبوية مضحية بنفسها وبحقها فى السعادة البشرية التى لا ينبغى أن يحرم منها انسان فى مجتمع سليم ، فهذه المفاسد والشرور الناتجة عن فساد الأوضاع الاجتماعية هى التى يسعى كتاب المذهب الواقعى المتشائم الى البحث والكشف عنها دائما معتقدين أنها مصدر نكبات البشر فى الحياة . وذلك بينما نرى المذهب الطبيعى الذى ظهر فى أعقاب المذهب الواقعى فى القرن التاسع عشر والذى يعتبر امتدادا له

فى النظرة المتشائمة الى الحياة ولكنه يختلف عن المذهب الواقعى فى أنه يرى مصدر الشر فى طبيعة الانسان العضوية ، وخلقته الفطرية وعلى أساس هذا المذهب ووفقا لمعتقداته التى حللها اميل زولا فى كتابه النقدى عن « القصة التجريبية » صورت المؤلفة فى تصويرها الدرامى المخيف لشخصية الأستاذ كلينوف الذى تفسر سلوكه العلمى والانسانى على السواء بحقائق خلقته العضوية ، فهو ساخط فى فلسفته على البشر بل وعلى الله ذاته لأنه خلق دميما دمامة تحرمه من متع الحياة كلها وبخاصة متعة الحب ، مما يحمله على الحقد على غيره من البشر الأصحاء السويين الخلقة كما يحمله على التمرد على القدر أى على الله ، الذى خلقه دميما أعمش مهددا بالعمى الذى لا سبيل الى الافلات منه . وهو قد يكون رجلا ذكيا واسع الثقافة والحيلة ولكن دمامة خلقته ومرضه يطيحان بضميره العلمى بحيث ينطبق عليه قول أحد الحكماء « علم بلا ضمير خراب للنفس » وهذا حق . فالأستاذ كلينوف رغم علمه وأستاذيته شيطان رجيم غليظ الحس قاسى النفس سوداوى الأنانية لا تزيده شفقة اليز به الا قسوة وضراوة حتى لتلوح لنا شفقتها به ضربا من الضعف ان لم نقل الرذيلة ، ازاء أنانيته المسرفة وقسوته التى لا تعرف رحمة ولا انسانية وتنعكس حقائق حياته المرعبة على فلسفته فنراه يقول فى احدى محاضراته التى نقرأ بعضها فى المسرحية مكتوبة بخط اليز « ان غرور الانسان فى تصوره أنه هو نفسه المسيطر على أفعاله ــ هذا الغرور السخيف هو ما يقلق النفس البشرية ،

ويفسد منطق قوانيننا الاجتماعية . ان تركيب مخ الانسان ، وتركيب المخ فقط ، هو ما يسير دفة أفعالنا . بنـــاء على ذلك لا يوجد شيء اسمه جريمة . فكرة العقاب خطأ من أساسها . لماذا لا يعاقب الرجل لأنه ذو شعر أسود أو أشقر ؟ العنكبوت الذى يمتص دم بعوضة لا يرتكب ثمة جريمة ... كل ذلك من نظم الطبيعة ... » .

فتقاطعه اليز قائلة : « محاضرة شديدة الخطر على صغار الطلبة ، فيما يبــدو لى » فيجيبها كلينوف متسائلا : « أى خطر ؟ ... ما دامت أفعالنا تقررها من قبل طبيعتنا ؟ .. ان كلا منا يتبع طريقه ... كذلك من ينعتونهم بالمجرمين » فتفكر اليز قائلة « قد يكون هذا حقا ، ومع ذلك ... فمن يسيء الى غيره ولا دافع له فى ذلك سوى الأنانية ، لا يجب أن يكون له هذا العذر » . ولكن كلينوف يعترض قائلا « ولم لا ؟ .. قد يكون لهؤلاء طبيعة أقوى ، ارادة أكثر صلابة ، شهوات أشد عنفا من الآخرين ... ومن ثم يكون لهم حق أسمى » .

وواضح من هذه الفقرات أن الأستاذ كلينوف يؤمن بالمذهب الطبيعى فى تفسير سلوك الانسان بل وتبريره قدر ايمان كارين برامسون كاتبة المسرحية التى تفسر كل ما فى نفس الأســتاذ كلينوف من شر وبشاعة بحقائقه الجسمية ككائن عضوى على نحو ما كان يرى اميل زولا ومدرســـته بعد أن تخطوا بلزاك ومدرسته الواقعية فى البحث عن الشر ومصدره وانتقلوا بهذا البحث من مجال الحيــاة الاجتماعية الى مجال البحث العلمى

فى الأعضاء الجسدية ووظائفها وحاجاتها وطبيعة خلقتها ورأوا فيها القوة المسيطرة على السلوك البشرى كله والقادرة على تفسير ما فى هذا السلوك من شر والكشف عن مصدره بعد أن تقدم البحث العلمى فى علوم الحياة ووظائف الأعضاء . وبعد أن وضع الطبيب العالم الفرنسي الشهير كلود برنار كتابه الخطير المسمى « مقدمة لعلم الطب التجريبى » .

البنــــاء الفنى

كل هذا عن مضمون هذه المسرحية القوية المرعبة التى وان طغى فيها الشر على الخــير طغيانا ساحقا ــ الا أنه لا يستأثر مع ذلك باحساسنا كله ونفورنا منه ، فنحن رغــم اشمئزازنا من سلوك الأستاذ كلينوف وقسوته المخيفــــة ــ الا أننا مع ذلك لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الرثاء له أحيانا باعتبار أنه لاحيلة له فى مصدر الشر الذى ابتلى به وهو دمامة الخلقة وسوء التكوين العضوى ، ثم المرض الذى يهدده بالعمى المحقق ، وكلها ضربات من القضاء والقدر الذى لا يرحم ولا نعرف له تفسيرا فهو الآخر ضحية لهذا القــدر المنحوس وان كنا لا نستطيع تبرير أنانيته المسرفة وقسوته المتوحشة وذكائه الشرير ازاء المسكينة اليز التى لا دخل لها فى نكبته والتى تشفق عليه وتحاول جاهدة أن تسرى عن كربه ومع ذلك يطالبها بما لا قبل لها به من التضحية الكاملة بنفسها فى سبيلة راضية أم كارهة .

ومع ذلك فانه من المؤكد أن هذه الكاتبة تعرف صنعتها على خير وجه . بل لقد استفادت من تلك الصنعة أكبر الاســــتفادة

وأروعها فى بناء مسرحيتها بناء دراسيا متقنا يدنو بها من الطراز الكلاسيكى المتين .

ففى الفصل الأول تعرض لنا المؤلفة عناصر الدراما وشخصياتها وعلاقة كل شخصية بأخرى على نحو دقيق محكم يجمع بين أيدينا وتحت أبصارنا خطوط المأساة كلها اذ نخرج منه وقد علمنا بقصة اليز المحزنة وموقف الأستاذ كلينوف وموقف أبيها وحبيبها فيديل منها وقد تهيأ الجو للصراع بين هذه الشخصيات كلها ، بل وانتهى هذا الصراع فى مرحلته الأولى مع انتهاء هذا الفصل الأول برضوخ اليز للأستاذ كلينوف فى رغبته من الزواج منها ، وبذلك استطاعت المؤلفة أن تضغط فى الفصل الأول من مسرحيتها مرحلة العرض لعناصر الدراما وشخصياتها وخيوط الأزمة وبين المرحلة الأولى من الصراع الذى سيجرى فيها . وهاتان المرحلتان تستغرقان عادة فى المسرحية الكلاسيكية الفصل الأول المخصص للعرض والفصل الثانى المخصص للمرحلة الأولى من تطور الأحداث ، ومن الصراع الذى يجرى فيها ، وبذلك استطاعت المؤلفة أن تضغط مسرحيتها الى ثلاثة فصول بالغة القوة والتركيز بدلا من خمسة فصول كما تفعل المسرحية الكلاسيكية .

وفى الفصل الثانى انتقلت المؤلفة بالمسرحية الى مرحلة جديدة من مراحل تطورها ، وان لم تلتزم وحدة الزمان ولا وحدة المكان كما كان الكلاسيكيون يفعلون اذ نراها تنقل الأحداث الى فندق سافر اليه كلينوف ، مع زوجته الاسمية اليز حيث تتطور

الأحداث بحضور فيديل الى الفندق ومحـاولة اغـرائه لاليز بالهرب معه ورفضها هذا الهرب شفقة بجيرار كلينوڤ رغم نار الجحيم التى تصلاها معه .

اذا انتقلنا الى الفصل الثالث أحسسنا بأنه قد مضى شهران على زواج كلينوڤ باليز وقد عدنا الى منزل كلينوڤ من جديد حيث تتجدد الأزمة بزيارة أخرى من فيديل تمهد السبيل للحل النهائى الذى ستسدل عليه الستار وهو انتحار اليز بعد أن ضاقت بها السبل ولم تجد مفرا من الجحيم الذى تصلى ناره غير الانتحار بطلقة رصاص من المسدس الذى أعـده كلينوڤ لنفسـه .

وهكذا يظهر ما فى البناء الفنى والتسلسل الدرامى فى هذه المسرحية من قوة واحكام تقربها من النمط الكلاسيكى رغم عدم تقيدها لا بوحدة زمان ولا بوحدة مكان ، وان تكن قد التزمت بوحدة الموضوع من مطلع المسرحية الى خاتمتها .

والمسرحية بعد ذلك دقيقة الحوار عميقته الى الحد الذى يكسبه من القوة والمهارة ما يكاد ينسينا عدم معقولية أحداث المسرحية أو على الأقل خروجها عن مألوف الحياة بين البشر ، فما نظن عشيقا ينازع زوجا نزاعا صريحا ووجها لوجه كما يفعل فيديل مع الأستاذ كلينوڤ ، وانما يخترع الأدباء مثل هـذه المواقف لابراز حقائق نفسية وأخلاقية معينة على نحو ما يفعل برنارد شو فى مسرحيته كانديدا التى يجلس فيها الزوجة مع حبيبها وزوجها بناء على طلب الزوجة نفسها لكى يدلى كل منهما

أمامها وأمام الآخر بالحجج التى يمكن أن تستند اليها فى تفضيل أحدهما على الآخر . ومع ذلك فمن المؤكد أن الموقف فى مسرحية الأستاذ كلينوف يبدو لنا أكثر دنوا من الممكن أكثر من الموقف فى مسرحية كانديدا لبرنارد شو ، فضلا عن أن المؤلفـــة كارين برامسون قد استطاعت بدقة حوارها وعمقه واحكامه وتسلسل الأحداث الجزئيـــة فى مسرحيتها وقـــوة الربط بينها واحكام التسلسل السببى بينها ؛ اســـتطاعت أن تنسينا ما يلوح فى مسرحيتها من افتعال وأن تنجح فى ايهامنا بأن ما نقرأه أو نشاهده شىء محتمل الحدوث مشاكل للواقع حتى لنخشى مع الدكتور طه حسين فى تلخيصه لهذه المسرحية أن تكون هذه الكاتبة البارعة قد صورت واقعا انسانيا فعليا ونتمنى معه أن تكون مسرحيتها من عمل الخيال الخالص الذى لا وجود له فى واقع الحياة البشرية اشفاقا منا على أن يكون فى حياة البشر من الشر والقسوة والأنانية المسرفة المظلومة والظالمة معا مثل ما فى هذه المسرحية العنيفة التى نعود فنقول أنها تجمع بين معظم الشرور التى عمـــل المذهبان الواقعى والطبيعى على الكشف عنها خلال القرن التاسع عشر كله ابتداء من واقعية بلزاك فى أوائل ذلك القرن حتى طبيعية اميل زولا ومدرسته فى النصف الثانى منه ، فضلا عن استفادة المؤلفة بخير ما فى الكلاسيكية من أصول فنية لتركيز ما صـــورته من شرور النفس البشرية وتركيزها فى حـــوار درامى بالغ الذكاء والنفـــاذ والقوة .

محمد مندور

أشخاص المسرحية

الأستاذ كلينوف

فورسبرج

أريك ڤيديل

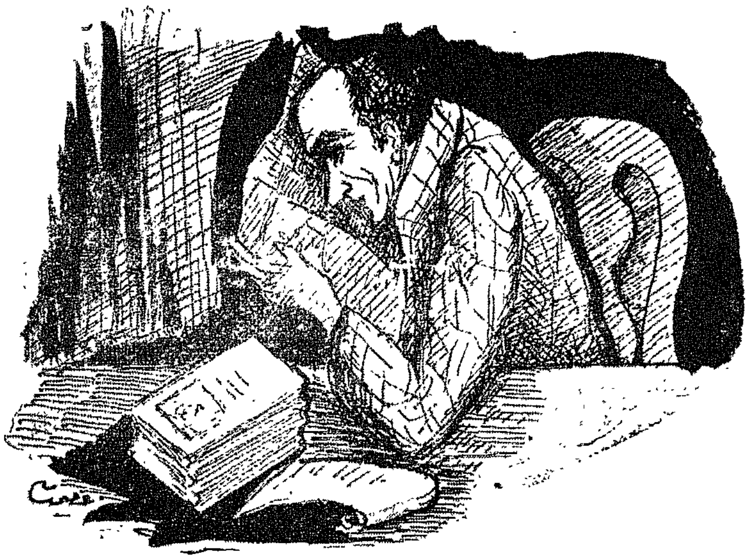
أليز

مارى

خادم فى الفندق

كتبت هذه المسرحية المؤلفة الدانمركية مدام كارن برامسون ونقلتها بنفسها الى اللغة الفرنسية . وقد مثلت الترجمة الفرنسية لأول مرة فى باريس بتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٢٣ على مسرح « الأديون » .

وقد قام وقتئذ بدور كلينوڤ « پول ريمير » أشهر ممثلى الدانمرك ، منتدبا من المسرح الملكى بكوبنهاجن . وقام بدور فورسبرج الممثل الكبير « فيرمان چيمييه » مدير مسرح الأديون. أما دور اليز فقد قامت به « مدموازيل مادلين كليرڤان » ممثلة « الأديون » الأولى ، وأما دور ڤيديل فقد قام به « آبيل چاكان » ممثل أدوار « الفتى الأول » .



الفصل الأول

حجرة مكتب الأستاذ كلينوف

فى الصدر ، باب الدهليز . الى اليمين ، باب حجرة النوم . الى اليسار أبواب بقية الحجرات . الحجرة مؤثثة بذوق غير أنيق ، كتب وأوراق فى كل مكان .

يدخل كلينوف قادما من الدهليز: هو رجل فى الخامسة والأربعين لكنه يبدو أكثر تقدما فى السن . دمامته تسترعى الأنظار جسم هزيل عليل ، برأس كبير ذى شعر أشهب ، لكن عينيه اللتين تطرفان وتمائيان

من قصر نظر شديد يلمع فيهما بريق الخبث والذكاء يستعرض فى عجلة طائفة من الرسائل والصحف موضوعة على مكتبه . يلقى ساخطا بصحيفة كاريكاتيرية الا أنه بعد هنيهة ، يأخذها ثانيا ، ينفحصها مليا ، ثم يضعها على المكتب ، هازا كتفيه فى شىء من عدم الاكتراث .

كلينوف : (ينادى) أليز !

(تدخل مارى .) امرأة فى الاربعين ، خادمة تقوم بكل أعمال المنزل ، قد أصبح من طبعها رفع الكلفة شأن الخادم الذى يطول عهده بخدمة البيت . تحوط كلينوف بنظرات تنم عن اعزاز عميق يخالطه مزيج من القلق والمخاوف)

مـــارى : هل نادانى سيدى الأستاذ ؟

كلينوف : لست أنت . أين اليز ؟

مـــارى : قد خرجت لتتلقى درسها .

كلينوف : أريد أن تكون هنا حينما اعود . كم مرة ينبغى أن أكرر ذلك ؟

مـــارى : ولكن ما دام سيدى الأستاذ نفسه ، هو الذى يريد أن تذهب الى كل درس ...

كلينوف : وأريد أن تتكرم بتنظيم وقتها حسب وقتى ! انى أتناول غذائى فى منتصف الساعة الواحدة .

مـــارى : أأعد لك الغداء ؟

كلينوف : لا أريد أن آكل شيئا .

ماري : لا تريد أن تأكل شيئا ؟ اليوم أيضا ! أهذا معقول ، عندما يكون الانسان فى أشد الحاجة الى التغذية ! شأن الأطفال حين يغضبون ...

كلينوف : احتفظى برأيك حتى أطلبه منك .

ماري : أغلب الاحتمال ، حينئذ ، أن أظـل محتفظة به طويلا ... (بعد برهة) ألا أحضر لك ولو بيضة واحدة أو شريحة من اللحم ؟ ..

كلينوف : كلا . والآن دعينى هادئا .

ماري : (برفق) طيب ، طيب ، تذمر ما شئت ، ما دام ضيق خلق سيدى لابد وأن ينصب على رأس أحـد ؛ فليكن ذلك على رأسى أنا ؛ فيمكننى أن أتحمل أكثر من الصغيرة أليز .

كلينوف : دائمـا أليز ! ألا يمـكنك أن تفتحى فمك دون أن تتكلمى عنها ؟ لم أعد أطيق ذكر هذه الفتاة ... ماذا تفعل من أجـلى ؟ أتهتم بى أقل اهتمام ؟ قلت لها مائة مرة أن تكون هنا عندما أعود ! انها تسكن منزلى ، تأكل على مائدتى .. قد يكون من واجبى أنا أن أشكرها على هذا الشرف ؟ لقد كنت مغفلا حينما آويتها عندى ... هـذه الصعلوكة التى حلت بينها وبين الالقاء بنفسها فى الماء !

ماري : من حسن الحظ أن سـيدى لا يعنى كلمة مما

يقول . هذه البنية الطيبة ... هى شـــعاعنا الوحيد من الشمس ! أوكل هــذا لأنها لم تكن على الباب فى استقبال سيدى ! ولكن ماذا يقلقك ؟ (بلهجة قلقة وعائلية) أهما عيناك ؟ آه ! ياربى ، عيناه ! كل ليلة أبتهل الى الله أن يلهم ســـيدى الصواب فيقرر أخـــيرا أن يذهب لاستشارة طبيب عيون .

كلينوف : لست محبا للاستطلاع ، ياماري . اسم المرض لا يهمنى . أما نتيجته ، فأنا أعرفها مقدما .

مـــارى : لا أحد فى العالم يعرف ما سيأتى به الغد . ومن المؤكد ، أنه حينما تستحكم حلقات الضيق ، فان الله قد يمدنا بالعون وفق مشيئته .

كلينوف : حقيقة ! ياله من حظ لو جاد القدر علينا بهــذه المنة ! ولكن ألا تخشين أن تعوقه كثرة أعماله عن الاهتمام بشخصى الفتان ؟ أى خســارة تحيق بالعالم اذا كنت أنا عمـــا قريب سأفقد عينى الساحرتين .

مـــارى : أرجو ألا يضيع سيدى وقتـــه فى السخرية من نفسه فى حين لا يسمعه أحد سواى (وهى تتنهد) يتولى ذلك كثيرون غيرك .

كلينوف : معك حق (يأخـــذ من على مكتبه الصـحيفة الكاريكاتيرية) انظرى ! هذا مضحك ... هيه .

لم أر مطلقا شيئا يشبهنى كهذا الرسم . تأملى هاتين الساقين المعوجتين ، هذا الظهر المقوس ، وهذا الرأس الكرى ... يالى من مسخ رائع ! (ضاحكا بمرارة) هذه صورة طبق الأصل من طيفى الجميل وأنا أصعد سلم الجامعة ، رأس غاطس بين كتفى وأصابع قدمى مرتفعـــة فى الهواء ...

مـــارى : هذه الصحيفة السفيهة ! كان من الأفضل أن أحرقها . لقد وضعتها تحت جميع الصحف على أمل ألا يراها سيدى ...

كلينوف : تحرقينها ! أنت مجنونة ! هذا عمل فنى من الطبقة الأولى ! بضعة خطوط من قلم تظهر انى أكثر مخلوق يصلح أضحوكة للناس . هـــذا أسمى ما يبلغه الفن ! أنا لا يمكننى فى أضخم كتبى أن أسخر من أمثالى بهذه المقدرة .

مـــارى : (وهى تمزق الصحيفة بشدة) ان هذه الحشرات القذرة تنتقم من سيدى لأنه يكشف عن حقيقتها فى كتبه . ومن الخسة أن يسخر الانسان من شخص مريض يحنى رأسه لأن بصره قد ضعف . آه ! حينما أفكر كم كنا سعداء قبل أن تبدأ عيناك تنغصان علينا الحياة ! ولكن أيضا ، أيتصور أن

شخصا يعاند مثل هـذا العناد فى الذهاب لاستشارة طبيب ...

كلينوف : نعم ، أليس كذلك ! صباح الخير سيدى الدكتور ... هاك خمسين فرنكا ثمنا لعينين جديدتين ! أهذا ما تريدين ؟ ولماذا لا أقصد قسيسا ؟ أيحتاج الانسان الى طبيب ليموت ؟

مارى : يموت ! ... سيدى الأستاذ ، لا يجب أن يمزح الانسان بمثل هذه الأشياء ...

كلينوف : حقيقة ، أنه مزاح يدل على قبح الذوق . تتعفن الجثة ليأكلها الدود ... ان تصور ذلك ليس مما يفتح الشهية . أم تحرق فتصير رمادا . أتفضلين ذلك ؟ أنا شخصيا لا أحب الحر .

مارى : لكن من المفزع سماع هـذه الموضوعات ! يا اله الرحمة ! فيما تفكر ياسيدى ؟ ان الانسان لا يموت لأن البصر قد أصابه شيء من الضعف ..

كلينوف : انت تعرفين كم احب النظام . أشترى دائما مظلتين معا ، حتى اذا ما نسيت واحدة فى الترام وجدت الأخرى ... كذلك سوف أشترى مقدما تابوتا مريحا ظريفا مبطنا بالحرير ، كما انى سوف أعد تأبينا مما يكتب على الضريح مملوءا بعبارات المديح الرقيقة ... حتى يكون كل شيء معـدا فى الوقت المناسب . لا ترتاعى يا عزيزتى الآنسة

كرستنسن . ليس فى نيتى أن احضر الى هنا هذا المتاع المبطن بالحرير . . . سوف لا أكلفك بتنظيفه وازالة الغبار عنه .

مـــارى : صه ! . . . انى أسمع اليز . بحق السماء ، لا تفه بهذه الأشياء المرعبة أمامها .

كلينوف : لك حق . انها ستتألم كثيرا لمجرد فكرة فقدانها اياى . ولكن أتظنين أنها ستتألم الى هذه الدرجة اذا ما اعتقدت انى قد ضمنت لها مستقبلها ؟ ماذا تظنين فى ذلك ؟

(تدخل اليز . هى فتـــاة فى العشرين ، جميـلة وشقراء ، يتمثل فى هيئتها الوداعـة والخجل . فى عينيها الحزينتين مايدل على انها قد عرفت الحياة . يظهر عليها القلق والاضطراب) .

الـــيز : صباح الخير ، ياسيدى الأستاذ . صباح الخير ، ياماري .

مـــارى : كم انت مرهقة يابنيتى !

كلينوف : لقد تأخرت .

الـــيز : نعم . . . فقد اضطررت أن ألف من طريق أطول .

كلينوف : قد قلت لك أن تكونى بالمنزل فى منتصف الساعة الواحـدة .

الـــيز : ألف معذرة ياسيدى . وهل كنت فى احتياج الى من أجل العمل ؟

كلينوف : ليس هذا هو المهم . لقد جئت متأخرة . وأنا أريد أن تنفذ أوامرى . اذا كان هذا لا يوافقك ، يمكنك أن تغادرى المنزل .

اليز : (بتهيب) لا تؤنبنى ! سأقص عليك ما حدث لى . .

مارى : (وقد لحظت أن اليز تتردد فى الكلام أمامها) أظن من الواجب أن أذهب أنا ؟

اليز : ولكن كلا ، ياماري ، يمكنك أن تسمعى كل شيء . .

كلينوف : ماري ليست سيدة شرف فى بلاط أسبانيا . ان عملها فى المطبخ .

مارى : نعم . عندما تحضر الآنسة اليز ، ليس لمارى الا أن تعود الى المطبخ (تخرج) .

كلينوف : (بضيق) والآن ! ماذا حدث لك ؟

اليز : لقد تبعنى أبى .

كلينوف : هكذا ! وهل رآك تدخلين الى هنا ؟

اليز : لا أدرى . . . لم أجرؤ أن ألتفت ورائى . . . كنت خائفة جدا . . . بمجرد رؤيتى له ، أخذت أعدو فى الطريق . الا أنه كان يخيل لى طول الوقت انى أسمع وقع أقدامه ورائى . . . ولذا سلكت طريقا أطول حتى أضلله . ماذا عساى أن أعمل لو كان قد رآنى أدخل الى هنا ؟

كلينوف : تنتظرين وصوله فى هدوء .

اليز : أتظن أنه سيجرؤ على المجىء الى هنا ... عندك أنت ؟

كلينوف : طبعا ، اذا كان قد رآك تدخلين الى المنزل .

اليز : أوه ! لا تستقبله اذا حضر ، أتوسل اليك ! انى أرتعد من الخوف ...

كلينوف : على العكس . أنا أتوق الى رؤيته .

اليز : انه لا يستطيع ارغامى على الرجوع عنده ، أليس كذلك ... انه لا يقدر ؟ حتى ولو لجأ الى الشرطة ... سوف لا يمكنه ارغامى ... أليس كذلك ؟

كلينوف : كم مرة يجب أن أقول لك : كلا ، كلا ، كلا ! ومع ذلك ، فبناء على ما قصصته على ، لاشك أن السيد والدك سيتجنب مواجهة الشرطة ... الا اذا كانت روايتك المؤثرة ما هى الا ثمرة من ثمرات خيالك !

اليز : ماذا تعنى ؟ ... أتظن انى كذبت عليك ؟

كلينوف : أنت امرأة ، يابنيتى .

اليز : (بحدة) وهل هذا سبب للكذب ؟ فى بيتنا ، كانت أمى دائما هى الصادقة .

كلينوف : الكذب ! ابحثى عن تعبير أخف ... الحقيقة مموهة قليلا ... أظن أن هذا أرق على السمع ، أليس كذلك ؟ أسائل نفسى ما اذا كانت روايتك

البديعة ، رواية الضحية ، تدخل ضمن هذا العبير ! أم انك حقا تلك الزنبقة الجميلة البيضاء التى استمدت بياضها ونضارتها من مياه الحفر القذرة .

اليز : اذا كنت لا تصدقنى ، فلن أستطيع بعد الآن أن أبقى فى منزلك .

كلينوف : ماذا تقولين ؟

اليز : أقول انى ما قبلت عطفك ومعونتك الا لما زعمته من أنك تصدقنى ... قلت لى انى أستحق أخيرا شيئا من الراحة والسرور فى الحياة ... وانك ستساعدنى على تعلم مهنة . أثبت لى ذلك ثقتك بى وكنت شاكرة لجميلك شكرا لا حد له . أما اذا كنت قد أخطأت الفهم ، اذا كنت تعتقد فى انى فتاة كاذبة تتهم أباها زورا بمثل هذه المنكرات ، اذن ...

كلينوف : هدئى روعك ياصغيرتى ... انى مصدقك . ان تجرد تصرفك من المنطق ، أن تلقى بنفسك بمحض اختيارك فى نفس الحياة التى هربت منها فزعة ، هو فى نظرى أقوى دليل على صدق أقوالك ! أوه ! نعم ، انى مصدقك . اذ ليس من المعقول أن تكون روايتك كاذبة .

اليز : وماذا كان يمكننى أن أفعل غير ذلك ؟ أين أذهب؟

هناك ، وحيدة فى الطريق ؟ ... كيف أكسب قوتى ؟ لم أكن أرغب فى الحياة ، كانت حياتى قاتمة ولا قيمة لها . لم يكن فى العالم أجمع شخص واحد يذرف دمعة على مماتى ... ولكن حينما وقفت هنالك ، فوق الجسر ، أحملق الى هذا الماء الأسود الذى سيبتلعنى بعد قليل ، شعرت بقشعريرة الخوف تسرى فى جسمى ... لا نجم فى السماء ولا شعاع ... كل شىء كان قاتما وباردا ومخيفا ... لم أقدر . جبنت ... وفى تلك اللحظة رأيتك تقترب ... ف... ف... عرضت نفسى عليك .

كلينوف : اسكتى ! لا أريد أن أسمعك تتكلمين فى ذلك بعد الآن (يقترب منها وتحنو يده على شعرها) خسارة كانت تكون فادحة ! امرأة جميلة لا ينبغى أبدا أن تموت . كل جمال يجب أن يخلد ، لأن الجمال هو المثل الأسمى للخليقة . أنت جميلة يا أليز ... أتقدرين هذه الهبة التى تفوق كل ثمن ؟ أتتبع عيناك باعجاب تقاطيع جسمك عندما تنظرين فى المرآة ؟ (يأخذها من يدها ويقودها أمام المرآة) انظرى الى نفسك ! دورى أمام المرآة ... ثم أخبرينى ألا يختلج قلبك فرحا عندما تدركين أنك مثل أعلى من أمثلة الطبيعة ،

نموذج كامل للجسم النسوى ! (فجـــأة وهو يضحك بمرارة ويتخذ وقفته أمامها) ومع ذلك فلكى تقدرى من كل قلبك هبة الجمال ، ما عليك الا أن تنظرى الىَّ .

الـــيز : ولكنى لست جميلة ! من المؤكد أنك أنت فقط تظن ذلك ... وقد يكون هذا لأنك ... لأنك... تعتقد فى نفسك ... انك دميم جدا . ولكنك لست كذلك ... أعنى ... أن ... انى الآن لم أعد أشعر بذلك ... على كل حال قد وجدت ..

كلينوف : (ضاحكا) أنت لست ماهرة ، أيتها الصغيرة . انك تتلعثمين عندما تكذبين . حسن جدا ! هذا يثبت على أى حال أنك لست معتادة الكذب . ولكنك كبقية الناس . وهذا ما يضايقنى ، أنت كالذين يقولون بلسان واحد عن طفل شنيع ... لجلب الابتسام الى شفتى أمه : « ما أجمل هذا الطفل ! » هذه الطيبة المبنية على الجبن لا يمكن للانسان أن يفهمها عندما يعرف الكره المتبادل بين الناس . يسرق الرجل دون أى تأثر آخر درهم من دراهم جاره الأحدب ، الا أنه يؤكد له بكل ود أن ظهره مستقيم . قولى لى فى وجهى انى أقبح رجل رأيته فى حياتك وأنا أهنئك بأنك قد اجتزت نوعا من النفاق الاجتماعى .

السيز : اذن ، سأكون صريحة . حينما رأيتك ليلا فى الطريق قادما الى ، قلت فى نفسى : « يا له من رجل دميم ! » ولكن ، فى تلك اللحظة ، نظرت الى وعندئذ رأيت ما تحويه عيناك من رقة وذكاء . وهاتان العينان هما اللتان أمدتانى بالقوة على .. على ... محادثتك . ومن ثم لم أر فيك سوى عينيك .

كلينوف : كفى ! لننس الهموم . لم يبق منها شىء ! الحياة جميلة . هاك شيئا قد أحضرته لك (يخرج من جيبه ربطة صغيرة ويعطيها لها) خذى ! انه حزام . رأيته معلقا فى احدى « الفترينات » . وكان صغيرا جدا حتى أننى رغبت فى أن أرى ما اذا كان يناسب مقاسك .

السيز : (فرحة كالأطفال) ألف شكر ! ما أجمله . مقبضه من الفضة ! لاشك انه على مقاسى (تنظر بسرور الى نفسها فى المرآة) أوه ! انك دائما تعطف على . طالما ساءلت نفسى هل هذه الفتاة المدللة ، هى حقا تلك التى كانت ... أوه ! كلا ، معك حق ، يجب ألا أفكر فى ذلك بعد الآن . انى الآن أنسى ، أنسى ، أنسى كل ما لحقنى من سوء ولا أفكر الا فى طيبتك !

كلينوف : أنا لست طيبا . كل ما فى الأمر أنى أفعل

ما يسرني . فان كان في عملي هذا فائدة لأحد ، لا بأس .

السيز : انت أفضل رجل على سطح الأرض . ليس في استطاعتي مطلقا أن أقول لك كم أحبك من أجل طيبتك وكم أنا شاكرة لجميلك .

كلينوف : هكذا ! اذن فخري ساجدة أمام عظمة نفسي ! أيتها الصغيرة الغبية ! أنت تعلمين اني مغرم بالنفوس الجامحة ، أليس كذلك ؟ هذا مشروع منتج . اني أرقب هذه النفوس عن كثب وأسرق منها أفكارها . وتلك النفسيات البجحة حينا والمريرة حينا هي التي كونت شهرة كتبي . ولذلك فحينما رأيتك قلت في نفسي : ها هو مثل يستحق مشقة الدرس ... عينان كعيني العذراء تحت قبعة من الريش الأشعث في الساعة الثانية بعد منتصف الليل فوق جسر من جسور الضواحي ، تنهدات ودموع ، قليل من الأحمر فوق الخدين ، ثوب قديم رث وشباب ناضر ... كان هذا كنزا لمن كان له مثل مالي من نزوة دراسة النفسيات .

السيز : هذا عيبك الوحيد : لا تعترف أبدا بأن لك قلبا . لكن لك قلبا بالرغم منك ، وسأستمر ، بالرغم منك ، أشكر لك طيبتك ... كما اشكر لك في الوقت نفسه ذكاءك .

كلينوف : (وهو ينظر اليها) ذكائى ؟ ... وماذا يهمك من هذا الذكاء ؟

اليز : الرجل الذكى لا يحتقر أحدا . انه بدل أن يتهم الناس يلتمس لهم الأعذار .

كلينوف : (مفكرا) فيمن تفكرين فى هذه اللحظة ؟ أنت أبسط بكثير من أن تكتشفى فى نفسى هذه الصفة ، ان لم تكونى قد بحثت عنها عبثا فى نفس آخر . من هو هذا الآخر ؟

اليز : (وهى تخفى ما فى نفسها) كل من يعرف تاريخ حياتى يقول بأنى فتاة فاسدة . لا أحد يلتمس لى عذرا ... كما تفعل أنت !

كلينوف : ولكن من ذا الذى يعرف تاريخ حياتك ؟ انك لم تقص قصتك على أحد ، على ما أظن ؟ أذكر انك طلبت منى بالحاح شديد أن أخفى كل شىء ...

مارى : (تدخل) هناك شخص يريد مقابلة سيدى .

كلينوف : من ؟

مارى : لا أدرى .

اليز : (خائفة) يا الهى ... انه هو ! ... أنا واثقة انه هو !

كلينوف : (موجها الكلام لمارى) ولماذا لم تسأليه عن اسمه ؟

مارى : رفض أن يصرح لى به . انه يتظاهر بأن لديه أشياء هامة يريد أن يقولها لسيدى .

اليز : لا تستقبله ! انه ما أتى الا ليؤذينى ، أعر
ذلك ...

مارى : لكنها ترتعد من الخوف ، هذه الصغيرة المسكينة.

كلينوف : أعمال صبيانية ! أى أذى يمكنه أن يلحقه ب
وأنت هنا ؟ اذهبى بهدوء الى حجرتك وابقى ب
الى أن أدعوك .

(تخرج اليز مسرعة) .

مارى : هى تعتقد اذن أنه أبوها ؟ ما كان ينقصنا الا هذا

كلينوف : دعيه يدخل .

مارى : وكيف تتخلص منه ؟ انه ما أتى طبعا الا للنصب
والابتزاز .

كلينوف : (بضيق) قلت لك ، دعيه يدخل .

مارى : (وهى خارجة) حسنا ، حسنا ، حسنا .

(يدخل فورسبرج . رجل فى الخمسين ، ر
الثياب ، مظهره يوحى بأنه على شىء .
العلم ، ولكن العين تتبين فى وجهه آثار لجميع الدناءا
التى يولدها الجرى الملح وراء المال . ينحنى باحتر
أمام كلينوف) .

فورسبرج : هل أتشرف بمحادثة الأستاذ كلينوف ؟

كلينوف : أجل .

فورسبرج : اسمح لى ياسيدى بأن أقدم نفسى . اسمى
فورسبرج وأنا ...

كلينوف : هذا يكفى . لقد سبق لى معرفتك ... بالشهرة.

فورسبرج : حقا ؟ ومن يكون ياترى هذا الذى بلغ به الظرف

أن أوصـــل الى مسامعك شـــيئا عن شخصى المتواضع .

كلينوف : ابنتك .

فورسبرج : ابنتى ! هـــذا مستحيل ... ابنتى ! مدهش ، مدهش ...

كلينوف : لم تتظاهر بالدهشة ؟ أنت تعرف جيدا أنها هنا ، ما دمت قد تبعتها ، أليسَ كذلك ؟

فورسبرج : (ضاحكا بدون تكليف) صراحة ، كنت متوقعا انك سوف تنكر وجودها عندك . فجاء اعترافك مجردا اياى من كل ما كنت قد أحسنت اعداده من هجوم .

كلينوف : أنكر ؟ لقد جئت أيها الرجل ، على ما أعتقـــد ، ونفسك مشـــبعة بالشكوك . ان ابنتك تكسب عيشها فى منزلى .

فورسبرج : آه ! كم يسرنى معرفة ذلك ! لقد علمتها اذن تعليما راقيا جدا ، ما دام لها من الكفاية ما يمكنها من كسب عيشها فى هذا المنزل . اذ آمل أنها لا تغمنى بالعمل عندك خادمة بسيطة ؟

كلينوف : الحقيقة ، انه بفضل ما لقنته لها أنت من تعليم بديع ... وأيضا بفضـــل بعض الدروس التى أساعدها على أخذها ... أمكننى أن أشغلها عندى شبه سكرتيرة .

فورسبرج : دروس ؟ مدهش ! أى حظ نادر المثال جعل سيدى الأستاذ يهتم بهذه الطفلة المسكينة هذ الاهتمام ... الحبى ! ولكن ... اغفر لى تطفلى اذا سألتك : كيف اذن يتسنى لها أن تكسب عيشها هنا قبل أن تتوفر لها الكفاية اللازمة أريد أن أقول ...

كلينوف : يمكنك أن تظن ما تشاء .

فورسبرج : ألف شكر ياسيدى على سماحك لى ... قد سمحت لنفسى من قبل . والآن وقد صار كل شىء على المكشوف ، يمكننا أن نتكلم .

كلينوف : وبعد ، لقد ضيعت كثيرا من الوقت ! ... ماذا تريد منى ؟

فورسبرج : أريد ابنتى .

كلينوف : اذن ، خذها ... اذا كان ذلك فى امكانك .

فورسبرج : بالضبط . واذا لم تحضر باختيارها ، فلحسن الحظ فى مقدورى أن أرغمها .

كلينوف : وكيف ، أتسمح بأن تفسر لى الطريقة ؟ .

فورسبرج : أليس للأب أن يحجز ابنته اذا سارت فى طريق غير شريف ؟

كلينوف : أو تظن أنها تعيش عيشة غير شريفة ؟

فورسبرج : دعنا من التمثيل ، سيدى الأستاذ .

كلينوف : خذ حريتك . يمكنك أنت أن تستمر فى تمثيل

دورك ، الا اذا فضلت أن تتكلم عن الحياة التى كانت تحياها عندك .

فورسبرج : عندى ؟ يا الله ، كانت تعيش مدللة كما لو كانت أمـــيرة .

كلينوف : وكيف تفسر هروبها من هذا النعيم ؟

فورسبرج : فهمت ! ... لقد قصت عليك قصصا مما يرقق القلب ، حكايات مملوءة بسوء المعاملة ، الخ .

كلينوف : لقد حدثتنى عن محـــال معينـــة تديرها وراء حـــانوتك . ألك أن تتكرم فتخبرنى فى أى شىء تستخدم هذه المحال ؟

فورسبرج : فهمت ، فهمت ! هو شىء من هـــذا القبيـــل ما اختلقته . لا بأس مطلقـــا . « ميلودرام » جيدة ... هذه الفتاة الصغيرة الوديعة تصبح فريسة الى آخر ما يتبع ذلك . سيدى الأستاذ ، فى هذه المحال التى تحدثنى عنها ، يوجد مكتبى . . نعم ، أقول لك فى صدق وصراحة ، لا يوجد سوى مكتبى .

كلينوف : مكتب غـــريب فى نوعـــه ، ملؤه الموائد الخضر والستائر السود ! وهنالك تشغل ابنتك وظيفة « الريّسة » ... تحت تصرف الزبائن ، أليس كذلك ؟

فورسبرج : كفى ... كفى ! ان مثلى الأعلى يتحطم ! الأستاذ

جيرار كلينوف ... هذا الفهم الفسيح ، الرجل الذى يبغض الجنس البشرى وينقد عصرنا فى ذكاء وقسوة ... يترك نفسه يؤخذ بشباك فتـــاة كاذبة ... آه ! هذا ما أعجز عن تصديقه ! أنسيت ما كتبته فى كتابك الشهير « فلسفة المرأة » (كمن يخطب) « الكذب هو أقوى عنصر فى كيان المرأة . انه عطرها ، لونها ، سناؤها بل وجوهرها أيضا . انه الشرارة التى تذكى رغبة الذكور » أنت تعرف هذا ؟ لقد كتبته ! ومع ذلك ... ها أنت تقـع فى الفخ !

كلينوف : (مندهشا) من أين لك معرفة ما كتبته ؟ أنت اذن قد قرأت كتبى ؟

فورسبرج : افهم سبب دهشتك : فتحت هذه الثياب الرثة لا يمكنك أن تتصور شخصا مفكرا أرقى ألف مرة من أولئك الذين يحيكون ملابسهم عند أشـــهر الخياطين (كلينوف لا يظهر أى رغبة فى المجادلة) لا تجاملنى ، أرجوك ! أنا أعرف الأثر الذى أتركه فى النفوس . أظن أنك بمجـــرد رؤيتى أسرعت بوضع يدك فوق صـــدرك لتتأكد ما اذا كانت محفظتك ما زالت مكانها فى جيبك ! ســيدى ، لا تخش شيئا . أنا أكره المـــال ، وثن السفلة الذين يدوسوننا بأقدامهم ، نحن أصـــحاب

النفوس الكبيرة ! أما معبودى أنا فهو الحكمة .
وأنت ، جيرار كلينوف ، يا من يلهب فى مؤلفاته
مجتمعنا الفاسد بسياط سخريته القاسية حتى
يدميه ، أنت القديس الأكبر لهذا المجتمع ! أنى
انحنى ، بكل احترام ، أمام سمو هذا الذهن الذى
يحلل نفسه ويكشف عنها علنا كى يكون أقدر على
خلع القناع عما تحويه النفوس الأخرى من نفاق
خبيث ... انى أنحنى أمامك ، ولو أنى أشعر
بنفسى ندا لك .

كلينوف : انك مضحك . ولكن قل لى ، من أنت ؟ ... ومن
أين أتيت ؟

فورسبرج : من أنا ؟ يا الله ! لا أدرى بالضبط كيف أوضح لك
من أنا . لو كنت ممن يتخذون طريقة تقديم بطاقة
زيارة ، لكتبت عليها : تيودورو دى فورسبرج ،
نفس نبيلة غير موفقة ، قريحة فلسفية لم يتح لها
النهوض . وتحت ذلك ... نقطتان ، ثم ...
نتيجة عوزه الشديد فى الحياة ، تاجر خمر صغير ،
ولكن ، بفضل ما هو عليه من سعة الحيلة ، غشاش
كبير ... اذ ، انى بموجب ما تقتضيه قوانين
غريزة حفظ الحياة ، اسمح لنفسى بأن أعمّد
خمرى بالماء .

كلينوف : (وهو لا يتمالك منع نفسه من الضحك) ان طريقة

استعمالك للألفـــاظ تنم عن أنك على شيء من الثقافة . من لقنك اياها ؟

فورسبرج : ربما كان ذلك أثرا مبهما تخلف عن حياة الرفاهية التى كنت أحياها فى عائلتى الكريمة ... قبل أن تذهب هذه الى الشيطان . أنظر الىّ : ان أمامك ضحية من ضحايا العدل الالهى الذى يترك الأبناء يتحملون تبعة أخطاء الآباء . عندما مدّ أبى العزيز يده الى مال الغير .. وهو لم يقبل ذلك الا عندما لم يبق معه ما يسد به رمقه ... حينئذ اضطر الصغير تيودور ، خادمك المتواضع ، لكى يحصل على قـــوته اليـــومى أن يبيع كتب الطـــالب الأرستقراطى ويلقى بنفسه فى خضم الحياة ... حيث ينبت الغش والنصب والخداع كما ينبت نبات الفطر السام ، سهل حصاده ... لكنه مر المذاق ! آه ! يا لها من حياة كلب يحياها فيلسوف !

كلينوف : ومع ذلك فهى أفضل من حياة الشرف والأمانة القاسية ، أليس كذلك ؟

فورسبرج : الأمانة ! أنت بلا قلب . انك تتحدث عن طعـــم البفتيك الشهى أمام شحاذ جائع ! ان الأمانة هى الترف الأسمى الذى يعز ثمنه حتى على أغنى الأغنياء . أأنا ، بردنجوتى القذر المزق ، يجب على أن أكون أكثر اسرافا من كبار الأغنياء ؟

كلينوف : ولكن لماذا تلبس نفسك لباس المتسول ؟ لقد كنت تكسب مبلغا من المال لا بأس به عندما كانت معك اليز ، أليس كذلك ؟ وكنت تقتصد البعض منه . فقد حدثتني أليز عن خزانة صغيرة اكتشفتها ذات يوم ... فى جانب من الموقد . اذا كان لا يزال باقيا معك بضع قطع ذهبية من هذا المال ، يمكنك أن تشترى لنفسك ملابس أقل رثاثة . انى أميل الى الاعتقاد بأنك تتخذ هذا المظهر البائس لتستجلب الشفقة .

فورسبرج : سيدى الأستاذ ! الشفقة هى أجمل زهرة فى النفس البشرية . لماذا تمنع جمالها من أن يزدهر؟ ان حساسيتى تتحصن دائما بجلد صفيق عند الحاجة ، فأنا أقبل شفقتك . وعلى فكرة ، أخبرك أنى غيرت مخبأ الخزانة الصغيرة ... أقول ذلك كى تعلم به أليز ، اذ لم يعد هذا المخبأ مأمونا . آه ! انت تظن ولا شك أنى أجمع هذا المال لأصيب به شيئا من متع الحياة . كلا ، كلا ! هذه النقود الحقيرة ... انما هى النجاة لروحى ، هى الأساس لكل شىء ، هى الخطوة الأولى نحو الغرض الذى أقسمت أن أسعى اليه ... مهما نالنى فى سبيل ذلك . أريد أن أهيىء لابنى مركزا هاما يحسد عليه فى المجتمع اللعين الذى أبعدنى

عن مباهجه . أريد أن أعد لابني مركزاً سامياً يجعل الناس ينحنون ، يطاطئون الرؤوس ، يرتجفون أمام قدرته على الاساءة اليهم ....آه ! أي حلم عذب ! هذا هو سرى ، سيدى الأستاذ .. هذا هو علة جشعى ، بخلى ، وكل نقائصى .

كلينوف : اذن ، أتبيع ابنتك لتحصل على مال تعطيه لابنك ؟

فورسبرج : اليز ليست ابنتى . أعنى ، نعم ، طبقا للقوانين المكتوبة هى ابنتى لا ريب فى ذلك ! اذ أن المادة ٣٠٧٧ تقول « يكفى أن يولد الطفل فى أثناء قيام ... » هه ... مفهوم ؟ لكن ، بكل أسف ، هذا لا يكفى كى يغذى فى نفسى عطف الأبوة . وفوق ذلك ، فهى تشبه أمها التعسة . وليس هذا مما يرقق قلبى نحوها ! نفس الفم الذى يتمثل فيه الفجور ... نفس العينين الناطقتين بطهارة الحمام ... ماتت الأم ، لكنها مازالت حية فى جسم ابنتها ، التى يجب أن تكفر عن جريمة أمها ! لقد صممت على ذلك . لماذا تورث فقط أخطاء الآباء لأبنائهم ؟ ما دام النساء يطالبن بالمساواة ، فلتكن المساواة فى كل شىء .

كلينوف : اذن فلابنك أم أخرى غير أم اليز ، ما دام قد نجا من انتقامك ؟

فورسبرج : كلا ، ليس له أم أخرى . الا انه كان من حظ هذا

الصبى أن ورث عنى جميع خصائصى النفسية .
ولذا فأنا أجرؤ ، دون أن يكون فى تصرفى ما يهزأ به كثيرا ، أن أعتبر نفسى أباه السعيد ... أراك تضحك ، يا سيدى ؛ ماذا تريد ... لكل وجهه نظره بالنسبة لنوع الشرف الذى يرتضيه . كل انسان يلعب دوره الصغير فى الحياة وعلى كتفيه من وهمه جناحان من الغرور . وهذا الغرور يبعث الى نفسى الكثير من الرضى . انه يداهن كبريائى كما أنه يوقظ كرهى وحسدى . هذا الغرور هو الذى يجعلنى أصيح : لتسقط الراسمالية ! ينبغى أن اشارك فى كل شىء .

كلينوف : أتبقى على صيحتك هذه اذا ما أصبح ابنك يوما ما غنيا ؟

فورسبرج : بكل تأكيد لا . أأرى ابنى يركب سيارة فاخرة وبجانبه ممثلة جميلة واصيح بالمساواة ! أتريدنى أن أبقى اشتراكيا متطرفا اذا ما نالنى نصيبى من الثراء ؟

كلينوف : حسنا ... أنا متوفر لدى المال ، ومع ذلك أصيح: المساواة للجميع ...

فورسبرج : حقا ! اذن قاسمنى فيما عندك .

كلينوف : (مستمر فى حديثه) ... من وقت الولادة : المساواة للجميع فى كل شىء حتى الذكاء وحتى الصحة .

فورسبرج : يا لك من معابث ! ها أنت ذا تريد التهرب !

كلينوف : لى خمسون ألف فرنك ايرادا سنويا وأنت فقير معدم ... هيا نقتسم ما لدينا . ولكن عندما أصير أعمى ، بعد بضعة أشهر ...

فورسبرج : اعمى ! ...

كلينوف : اتريد أن تقتسم أيضا ؟

فورسبرج : أعمى حقيقة ، ظاهر على عينيك أنها ... لقد أثرت نفسى ...

كلينوف : وأنا أيضا لى حساب اصفيه مع المعارض الأكبر لآرائنا وهو القدر . حقا ان تصرفاته قديمة بالية. بالرغم من آرائنا الاشتراكية الحديثة ، يواصل هو سياسته فى أن يجعل من هذا رجلا صحيحا ومن ذاك رجلا مريضا ، هذا جميل وذاك دميم ، هذا ذكي وذاك غبى . أى ارستقراطى محافظ ! انه ما زال يتخذ لنفسه المحاسيب ! (يشير بقبضته مهددا فى الهواء) ولكننا لا نريد هذا ، أتسمع ... أيها المولى ! ... ادفع لنا جميعا من عملة واحدة ! امنحنى عينين مبصرتين حقا والا فقأت عين جارى !

فورسبرج : ما أعظمه من درس ! ما أعظمه من درس ! سيدى الأستاذ ، لقد أخجلتنى . لدى دخولى عندك ، كان الكره والحسد يملأ نفسى ... أنت ، فى قمة

المجد ، وانا ، فى الحضيض ، ولو أن كلينا شخصان ممتازان متساويان فى احتقارنا لعبـاد الملذات . لدى دخولى عندك ، كان يشمل نفسى أن أسلبك كل ما تملك . أما الآن ، فوامصيبتاه ، لم يعـد فى استطاعتى أن أمثل دور التعيس لأخدعك .. لم يعد فى استطاعتى أن أستمرىء شفقتى بنفسى ..

كلينوف : أوه ! احتفظ جيدا بهذا الكنز . شفقتنا بأنفسنا هى أكبر قوة منحت لنا . انها تسمح لنا بارتكاب منكراتنا صغرت أم كبرت ... دون تردد .

فورسبرج : حقيقة . بدونها يصير الكثير من الأشياء أشـد صـعوبة .

كلينوف : ها نحن فى النهاية نتكلم فى الغرض من زيارتك : أنت رجل فقير يستحق الشفقة ؛ هذا واضح ! فلك بعد ذلك أن تبدأ فى نصبك ، ورأسك مرتفع .

فورسبرج : (رافع الرأس) رد لى ابنتى ، سيدى الأستاذ !

كلينوف : حسنا ؛ وصلنا . اذن لقد ساءت حالة تجارتك؟ .. وانت فى حاجة الى المال ؟

فورسبرج : ساءت جدا . لقد وجد الزبائن فجأة أن خمرى قد خلا من النكهة التى كانت تميزه ... آه ! أى سحر تحويه نظرة ناعمة ! سيدى الأستاذ ، أنا فى حاجة الى ابنتى .

كلينوف : أخيرا ، ها أنت تعترف !

فورسبرج : أعترف ... بماذا ؟

كلينوف : بأن اليز قالت الحقيقة .

فورسبرج : جيرار كلينوف ، أخى ، ليس من اللائق بنا نحن الاثنين ، كرجلين يسموان مائة ألف مرة فوق مستوى النفاق العادى ، أن تكذب على بعضنا فيما لا طائل وراءه . انى أعترف اذن ... نعم ، لقد قالت الحقيقـــة ، كما يتجمع الذباب حول قطعة سكر ، كانت أليز تجتذب الزبائن بجمال عينيها . ومنذ أن هربت ، لم يعد يأتى أحد . تدهور كل شىء . أشفقت على نفسى ... فغفرت لها جريمة ارغام اليز على الرجوع ... لقد حان الوقت . ألف معذرة ، سيدى الأســتاذ ، على حرمانى اياك من سكرتيرتك ... الثمينـــة . سآخذها معى . سأمارس مالى من سلطة أبوية .

كلينوف : أنت تعرف جيدا قانونك المدنى ؟

فورسبرج : احفظه عن ظهر قلب ، كن واثقا . كنا دائما نعمل معا . انه صديق مخلص ! يحمى تماما من يدرك مقدار ضعفه .

كلينوف : حسنا ! اذن فأنت لا تجهـــل المادة التى تعطى الأبناء ، متى بلغوا الثامنة عشرة ، الحـق فى أن يهجروا منازل آبائهم ؟ مفهوم ... اليز لها من العمر اثنتان وعشرون سنة ! (هازا كتفيــه)

سيدى ، اسمح لى أن أقول لك : ان محاولتك فى النصب محاولة يرثى لها ... محاولة غير خليقة بـ ... (ضاحكا) برجل مثلك فوق المستوى العادى . الا أنى أضيف شفقتى الى شفقتك وأشترك بسرور فى تمهيد الطريق الذى أعددته لأبنك ... بمحض اختيارى . آمل أن تكون قد فهمت جيدا أن ذلك بمحض اختيارى ! لعبتك قد أخفقت ... لكنك لم ترقق قلبى نحوك عبثا باعتبارك اياى أخا وندا (يضحك ثانيا ويناوله بضع أوراق مالية) .

فورسبرج : (صائحا) حقا ، كما قلت من قبل : أنت رجل مدهش !

كلينوف : طبعا ، سوف تشرفنى بالعودة من وقت لآخر كى توقظ شفقتى ! أسمح لك بذلك وأترك لذوقك السليم مسألة تقدير المدة ما بين زيارة وأخرى (وبشدة فجائية) أما بالنسبة لأليز ، فأنصحك أن تتركها هادئة ! لا تقابلها مطلقا فى الطريق ! لا تحاول بأى طريقة أن تذكرها أن لها أبا . لأنه ، لو حدث ذلك ، سوف أتخلى عن السرور العظيم الذى ينالنى من استقبالك .

فورسبرج : كن واثقا ! انها لك ... بالرغم مما أشعر به من الأسف الشديد لفكرة أننى سأفقد ابنتى ... أراك تضحك ! أؤكد لك انى مخلص فى قولى ! لقد

بدأت أشعر نحو هذه الفتاة بعاطفة صادقة . اذ لابد وأن يكون لها مزايا فائقة حتى أن شخصا مثلك يهتم هذا الاهتمام ب . . . هم ! . . . بتهذيبها

(يدخل أريك فيديل . شاب في الخامسة والثلاثين ، عليه سيما الجد ، له نظرة مستغرقة شأن الفنان الذى يشتغل كثيرا) .

فيـــديل : صباح الخير . آه ! معذرة ! كنت أظنك منفردا . سأنتظر هنا ، على جنب (يهم بالخروج) .

كلينوف : كلا ، كلا ، أبق .

فورسبرج : (باندفاع) أستأذن أنا ، سيداى . لقد سمحت لى اذن ، سيدى الأستاذ ، بأن أرسل لك عينة من خمـــرى . أنا لا أورد ، كما قلت لك ، الا الأصناف العتيقة جدا والقيمة جـدا . . . ذات المذاق اللذيذ والسعر المعتدل .

كلينوف : أشكرك .

(ينحنى برشــــاقة أولا أمام كلينوف ، ثم أمام فيديل) سيدى . . . سيدى . . . (يخرج) .

فيـــديل : من هذا « الجنتلمان » الرث الثياب ؟

كلينوف : لقد سمعت . . . تاجر خمر فقير .

فيـــديل : شخصية مضحكة ! (كلينوف لا يجيب) والآن ، قل لى قليلا انى أوحشتك ! يخيل لى أنه قد مضى دهر لم ير فيه أحدنا الآخر !

كلينوف : أين كنت ؟

قيـــديل : كنت مـلازما البيت ... وحيـــدا مع نفسى فى مرسمى .

كلينوف : (ضاحكا) يالها من صحبة ! الم تجد صـــحبة أفضـــل ؟

قيـــديل : أردت أن أخلو بنفسى ... كنت فى نوبة شديدة.. نوبة من نوبات الحماقة ، كما تسميها أنت .

كلينوف : انت مؤثر . وهل كنت تتصور انه بحبس نفسك لأن الحياة بغيضة والناس أدنياء ، يمكن أن تتغير الأحوال ! ومع كل ، فلا يظهر أثر ذلك ! عيناك ممتلئتان حياة وقد حلقت ذقنك على الآخر ...

قيـــديل : انتهت الأزمة . لقد طردت الهموم بالعمل ... آه ! انه الدواء الناجع ... بالعمل يقوى الانسان ضعفه ؛ اذ لا شك انه بأجهاد الجسم يسترد الانسان الميل الى الحياة .

كلينوف : وهل أتممت أخيرا تمثالك الكبير ، بنت البحر ؟

قيـــديل : لسوء الحظ لا . انه باق كما هو . هذه الفتاة البحرية الغامضة التى تموت لشهوة أرضية ... صعب ! ... لا أجد التعبير الذى أصوره على وجهها . الا انى الآن أقوم بعمل جديد فذ . مثلى الأعلى ، ياجيرار ! تمثال يجمع بين جسم اله الحب وراس من أحب ... ما قولك فى ذلك ؟

كلينوف : مدهش . أنت اذن لك حبيبة ؟ أهنئك من كل قلبى . الا اذا فضلت أن تقبل تعزيتى ؟

قيـــديل : كلا ، هنئنى . لقد تغلبت على الشك ... وانتهيت الى التصميم .

كلينوف : آه ! كنت تشك ... وانتهى هـذا الشك ؟ أى خسارة ! ان أقصى درجات السعادة هى أن تشك فيمن تحب . ان الشيطان نفســـه قد اخترع الفضيلة ليتيح لنا أن نشك ... ونشتهى . اننا اذا ما صرنا واثقين منهن ، سوف نملهن كل الملل

قيـــديل : جيرار ... لقد كنت غاضبا جدا منك .

كلينوف : أشكرك ، ولكن ما الذى جعلنى جـــديرا بمثل هذا الاعتناء ؟

قيـــديل : لماذا كنت تخفى عنى حقيقتها ؟ انك لم تفعـــل ما يقتضيه واجب الصديق .

كلينوف : (وقد جمد فى مكانه فجأة) عن أى شىء تتكلم ؟ عمن تتكلم ؟

قيـــديل : عن أيليز ... بالطبع .

كلينوف : آه ! ... عن ايليز !

قيـــديل : يا للغرابة ! ... كنت أظن أنك قد حررت ذلك . فقد رأيت جيدا ، على ما أظن ، انى لم أكن ... عديم الاهتمام بها .

كلينوف : (بشدة) هناك ألف امرأة أخرى أنت لست عديم الاهتمام بهن .

فيـــديل : المسألة تتفاوت ، على كل حال . آه ! لقد مضيت فترة من أشـــق ما مر فى حياتى ... بينما كان فى امكانك أن توفر ذلك على .

كلينوف : ماذا تريد أن تقول ؟

فيـــديل : لا تحاول أن تخفى عنى شيئا . لقـــد حدثتنى بنفسها عن كل شىء بأدق تفصيل ... عن أبيها ، عن منزلها ... عن ماضيها ... عن كل شىء ! لقد قالت لى كل ذلك فى اليوم الذى اعترفت لها فيه بأنى ...

كلينوف : بأنك ... ماذا ؟

فيـــديل : بأنى احبها .

كلينوف : (عاجزا عن كظم غيظه) كان ذلك مهارة فائقـــة من جانبها .

فيـــديل : مهارة ؟ على العكس ، كان ذلك بديعا ... منتهى الاخلاص ... وأنا شاكر لها هذا الجميل شكرا لا حد له ... ولو أنى تأخرت فى ادراك نبل هذه الصراحة . فى حينها ، كنت فى شـــدة اليأس . أردت ألا أراها ، لا أفكر فيها ... أنســـاها . انساها نهائيا ! جنون ، بالطبع ! لم تفارق مخيلتى لحظة واحدة ! وأخيرا ، فكرت ، ما ذنبها هى ؟

أكان من خطئها أن ولدت فى مثل هذا الوسط أو أن لها أبا مثل هذا اللص ؟ وحتى اذا كانت لها أخطاء ... ما دمت أحبها كما هى ، مـــاذا يهمنى من ماضيها ؟ آه ! أنت ، بذكائك البارد ، لا يمكنك أن تفهم مطلقا أن كل تلك التقاليـــد القديمة تتلاشى فى الانقلاب الفظيع الذى يعترى المرء عندما يكتشف ... انه يحب !

كلينوف : (ضاحكا بعنف) أنت تحب ... بجنون ، حبـــا لا حد له ... يدوم خمسة عشر يوما ، أو على الأصح حتى اليـــوم الذى تكون فيه قد نلت بغيتك . انى أعرفكم ، كلكم سواء ، أنتم ، أيها الشبان الفـــاتنون المتأنقون ، ذوو النظـــرات القاهرة . مغامرات بسيطة هنا وهناك ... هذه هى رياضتكم ! ومع ذلك ... هذا لا يعنينى . تمتع بصفاتك الخداعة ما شئت . ولكن خارج منزلى ، أرجوك !

فيـــديل : هدىء روعك . انك تهيج أعصابك بلا داع . أظن أن أليز لا يضيرها أن تصير زوجتى .

كلينوف : زوجتك ؟ ... مدهش ... مع كل ما تعرف ! ..

فيـــديل : نعم . والآن ... أيرضيك هذا ؟

كلينوف : لا . يجب أن تعدل عن هذه النزوة .

فيـــديل : أنت مخطىء . انها ليست نزوة ، بل قرار ثابت ليس فى العالم ما يثنينى عنه .

كلينوف : سوف نرى .

قيبديل : (ينظر اليه ذاهلا) ولكن ، جيرار ... ما معنى ذلك ؟ كنت أنتظر أن أراك سعيدا ! لقد قلت لى مائة مرة أنه يضايقك وجود اليز فى منزلك .

كلينوف : يقول الانسان أشياء كثيرة ...

قيديل : اذن ، لم تكن صادقا فى قولك ! كنت تريد أن تخفى شدة سرورك بوجـــودها معك ؟ أنت غريب ، يا صديقى القديم ... تفاخر بأنك لم تظهر قط أقل عاطفة . لا شيء سوى المرارة والسخرية ذات اليمين وذات الشمال ! ياصديقى المسكين .. أتخفى وراء هذا القناع الكثيف الذى تلبسه قلبا رقيقا حساسا ؟ فى هذه الحالة ، يؤلمنى كثيرا أن أنتزع منك اليز . ومع ذلك ، يجب لك أن تغتبط اذ تعلم أن مستقبلها مضمون .

كلينوف : أشكرك . يمكننى أنا أن أضمن لها مستقبلها .

قيديل : المال لا يكفى . يوما ما ، قد تجد نفسها من جديد وحيدة ومحاطة بالأخطار . يؤلمنى أن أحادثك فى ذلك ... ولكنك أنت نفسك ، ياجيرار ، طالما قلت لى ان ... ان حياتك لن تطول .

كلينوف : (ساخرا) وكنت تصيح محتجا ! اذن قد تصالحت فجأة مع فكرة موتى ؟ آسف ان ليس فى امكانى أن أحقق لك فى الحال هذه الأمنية ... البسيطة .

قيـــديل : (بشدة) انك لا تستحق حتى الاجابة عليك !
لا أدرى ، ماذا دهاك ؟ لم أعـــد أفهمك . يلمع في عينيك بريق الحنق والغضب . لو لم يكن ذلك صادرا عنك ، عنك أنت ، لكنت مجبرا على الاعتقاد ... ولكن هذا مستحيل ! جيرار ، قل لى ما وراء كل ذلك ؟ أن الانسان لا يتصرف هـــذا التصرف ازاء صديق ، دون أن يفسر له السبب على الأقل .

كلينوف : صديق ... صديق ! ... لا تنطق بهذه الكلمة كما لو كانت ترتفع بك الى الســـماء ! ما هى الصداقة ، بوجه عام ؟ خمسة حروف تدل على تباين كبير فى اغراض شخصين ... أو على الأصح الاعتقاد الجــازم بأنهما لا يرميان لنفس الغرض ... أترى غير ذلك ؟ أما أنا فلا . عندما يقف أحدهما فى طريق الآخر ، ما مصير هـــذه الصداقة ؟ ليس لى صديق ولست صديق أحد .

قيـــديل : حسنا . فجأة اجـــد أن قد انقطع ما بيننا من صداقة وأنى أقف فى طريقك ! ... أليس هذا هو تماما معنى ما تقول ؟ أتعتقد ذلك حقيقة ؟ لا شك ، انى متعود على شذوذك ، ولكن ، فى هذه المرة يظهر لى أنك قد زدتها . أجاد أنت فى انكار صداقتنا ؟ ... صداقتنا القديمة ؟ ... صحبتنا

الطيبة ؟ ... وهذا بسبب اليز ؟ ولكنك تجبرنى على الاعتقاد بأنك ... (هاتفا) جيرار ، أمن الممكن أنك أنت نفسك ... (يسكت) .

كلينوف : عاشق لأليز ، تريد أن تقول ذلك ؟ حسنا ، ولم لا ؟ الا تجد فى حبيبا لا يقاوم ؟ انظر الى جيدا . أى مشهد بديع أن ترانى راكعا تحت قدمى فتاة صغيرة فتانة ، ولهيب الهوى يلمع فى عينى الضيقتين ، المحمرتين ، نصف العمياء ! احترس ، انى منافس خطر !

فيديل : صديقى المسكين ، انك تحاول المزاح بفمك لكن صوتك شديد المرارة . ... جيرار ، انك تحيرنى . هذه مفاجأة غير متوقعة . أنت بما لك من مجد .. بما لك من شهرة واسعة ... أنت الذى يحسدك الناس ، يكرهونك ويعجبون بك ... أنت الذى وهبك الله من الذكاء ما لم يهبه لسواك ، أنت نفسك تتوق الى الشيء الوحيد الذى أنت محروم منه .

كلينوف : حقا ، أى نكران للجميل ! أنت اذن ترضى أن تمنحنى عن طيب خاطر جسمك القوى والمرأة التى تحبها مقابل مجدى وشهرتى ، أليس كذلك؟

فيديل : (مفكرا) أليز ! ... كلا ، لك حق ، لا قيمة للحياة بدونها . لكنها تثير فى نفسى الحنان أكثر

مما تثير الرغبة . انها فى شدة الاحتياج الى من يحميها ويهديها ، هـــذه الصـــغيرة المسكينة المعذبة ! . . .

كلينوف : آمين ! . . . كم هذا جميل ! احفظ جيدا عن ظهر قلب ، هذه الكلمات المعذبة . يجب أن تهمس بها فى أذنها المتفتحة . فبهذا يمكنك أن تفوز بها (صارخا) كذب ورياء . . . هذه هى الحقائق الوحيدة الخالدة ! انى أرفع صلاتى الى هيكلك فأنت جديرة بها . ان واجبك شاق وعسير ! . . . كل غرائز البشر الوضيعة ، تغطينها أنت بكلمات عذبة واختلاقات رقيقة . مرحى ، مرحى . . . اليز تثير فى نفسك الحنان ، ياصـــغيرى . . . وأما ما عدا ذلك فليس سوى أشياء غامضة . . . فى السحب ! أشياء لا تهم كثيرا ، أوه ! يا قديس سباستيان . ولكنى سوف أعطيك صورتها ! لا شك أنها تكفى لأرواء حنـــانك أليس كذلك ؟ احفظها بالقرب من قلبك .

فيـــديل : أنت تريد أن تجـــرح كرامتى . لكنى سأحتفظ بهدوئى ، لأنى أراك تتألم ياصـــديقى . لننهى المسألة . . . أين أليز ؟ أريد أن أحادثها . لهذا جئت الى هنا . . .

كلينوف : ماذا تريد منها ؟

فيــــديل : ولكنى ... قلت لك .

كلينوف : وأنا قلت لك انى أعارض .

فيــــديل : (بحدة) تريد أن تمنعنى من أن أراها ؟

كلينوف : نعم ، الى أن تغير رأيك .

فيــــديل : وتظن انى أحترم معارضتك هذه ؟

كلينوف : لا آمل ذلك . ان عاشقا فى شاهق حبــه يعرف كيف يجتاز كل العقبات . المستحيل نفسه لعبه بالنسبة له . هيا ، اخرج من هنا .

فيــــديل : لا (برهة صمت طويلة) جيرار ، ما الذى تريد الحصول عليه ؟

كلينوف : سوف ترى .

فيــــديل : اتحبها ياجيرار ؟

كلينوف : أو هذا ما تفضل تصوره ؟ لقد قلت أن ذلك لن يكون شديد الخطر ...

فيــــديل : أنى أبحث ! هذا هو التفسير الوحيد . ولكن ، أممكن هذا ؟ أنت ، جيرار كلينوف ، المعروف من العالم أجمع بكرهك للنساء ، تلك العناكب الدموية كما تسميها ...

كلينوف : كلا . لا أحبها . هــــل خاب أملك ؟ كنت تمنى نفسك التسلية بمشاهدتى ألعب هــــذا الدور الهـــــزلى ؟

فيــــديل : (مترددا) نعم ، لقد خاب أملى . قل لى انك

تحب اليز فأفهم معنى هذا المجهود المستيئس لمنعي من الفوز بها . عندئذ ، تصير المسألة نضالا شريفا بين رجلين . ولكن اذا كنت لا تحبها ... ما الذى يعتقده الانسان ؟ أيعتقد أن هذا ليس سوى انحراف ؟ محض دناءة ؟ انك تحيرنى . أنت الذى من عليائه يحتقر الآخرين لنقائصهم ، أتشعر حقا بالسرور من فعلك الشر من أجل الشر ؟

كلينوف : ان ما اشتهرت به من الاحتقار للناس قد يكون له جذوره فى معرفتى العميقة لنفسى . لو كان لى ، أنا ، أجنحة الملائكة ، كيف كنت أدرك جيدا كنه ما لكم من مخالب الشياطين ؟ يسرنى أن تفهم أخيرا : انى شرير ، حسود ، حقود كالآخرين ... وحتى لا تخطىء التقدير ... اكثر منك . أنت ، يا أريك ، انى أمقتك ... مقتا جامحا ، مقت الفقير الهندى المطرود من طائفته . أمقتك من أجل عينيك ، من أجل شعرك ، من أجل جسمك . أمقتك لأنه ليس عليك الا أن تمد يدك لتحصل على ما أنا محروم منه طول الحياة . هذا واضح ، أليس كذلك ؟ وما دمت الآن قد عرفت شعورى .. هيا ، أخرج ! ليس لديك ما تفعله هنا . لن تنال اليز . لا أنت ، ولا أنا ! ... أبدا ! أسمعت ... لن تنالها ... وذلك فقط لأنى لا أريد . ما دمت

حيا سوف أمنعك . واذا عارضت مشيئتي سينشب القتال بيننا ، قتال حتى الموت .

قيديل : (صارخا) ولكن هذه دناءة ! ... هذا جنون ! لا لشيء سوى حسدك الوضيع ... ت ... لكن هذا غير معقول ! اذا عارضت مشيئتك ! يا الله ، انك أنت الساذج الآن . أيخيل لك أن دناءتك هذه تجعلني أترك أليز ؟ حسنا ! لقد قبلت القتال. وسوف لا أكون أنا المغلوب .

كلينوف : حسن جدا . ها قد افتتحت المعركة . تفضل بمغادرة منزلي في الحال .

قيديل : أترفض أن تدعني أراها ؟

كلينوف : نعـــم .

قيديل : هذا مضحك ... يمكنني أن أعود غدا ، بعد غد ، كل يوم الى أن أجدها منفردة .

كلينوف : عد وقتما تشاء . ولكن اذهب الآن . لقد سئمت هذه المحادثة .

قيديل : اني أرثي لك ، ياجيرار . اذ كلما توغلت في شرك كلما كان مؤلما لك أن تعرف أن قتالك بلا أمل .

كلينوف : اشكرك على كلماتك الرقيقة . الوداع .

(قيديل يتردد برهة ، ثم يخـــرج دون أن يجيب . كلينوف يفكر مدة طويلة وهو يسير في الغرفة ذهابا وجيئة بعد ذلك يذهب الى الباب وينادى اليز)

السيز : (بصوت قلق من وراء الباب) أنت وحدك ؟

كلينوف : نعـــم .

السيز : (وهى داخلة) أكان أبى ؟

كلينوف : نعـــم .

السيز : ماذا كان يريد ؟ ماذا قال لك ؟

كلينوف : جاء يبحث عنك ، بالطبع .

السيز : وكيف أمكنك أن تجعله يرحل ؟ آمل أن لا تكون قد أعطيته نقودا ؟

كلينوف : لقد أعطيته .

السيز : أوه ! ما كان يجب أن تفعل ذلك . سوف لا ينقطع عن المجىء .

كلينوف : مؤكد . ولكن كانت هذه هى الطريقة الوحيـدة ليتركك هادئة .

السيز : (قلقة) لا أفهـم ... كأنك مضطر أن تشتريه ليتركنى هنا ؟ (كلينوف لا يجيب . اليز وقد ازداد قلقها) ما كان عليك الا أن تفهمه ما كنت تقوله لى دائما : من أنه لم يبق له علىّ أى حق ، أليس كذلك ؟ (كلينوف لا يجيب) لماذا لا تجيبنى؟ لم تنظر الى هكذا ؟ انك تخيفنى ... ماذا حدث ؟

كلينوف : اليز ، لقد كذبت عليك .

السيز : كيف ، كذبت على ؟ فى أى شىء ؟

كلينوف : ليس حقيقة أن اباك لم يعد له عليك حقوق .

السيز : ليس حقيقة أن ... فى امكانه اذن أن يرغمنى على الرجوع ؟

كلينوف : نعـــم .

السيز : (تبقى صامتة برهة ، وقد شحب لونها) ولماذا أخفيت عنى الحقيقة ؟ تركتنى أعيش هنا ، واثقة، هـادئة ...

كلينوف : من أجل ذلك كذبت عليك ، يا اليز ، لأبعث قليلا من الراحة الى قلبك الصغير المسكين المعذب .

السيز : آه ! لقد أسأت التصرف . أتفهم ذلك ! بعـــد ما علمته لى ... اذا كان يجب أن أعود عنده ... كلا ، كلا ... انى الآن أرتجف رعبا عندما أفكر فى ذلك ؛ يخيل لى أن كابوسا يطبق على صدرى . . تلك الغرفة الكبيرة المظلمة وقد أفسد هواءها دخان التبغ ... زجاجات الخمر على الموائد ... وجوه السكارى المخدرة المنتفخة ... وأبى ، لئيم ويقظ ، يدور بخطوات الذئب مترصدا من يغشون فى الورق ... والقبو الرطب الذى يحبسنى فيه ليرغمنى على تحمل المداعبات البغيضـــة لهؤلاء السكارى ... أوه ! انى ما زلت أشـم بخــر أفواههم ... أرى وجوههم المحمرة البشعة ...

كلينوف : (بسرعة) اسكتى ! لا تثيرى هذه الصورة ... انها شديدة القبح . لن تعودى اليه اذا كنت تودين

البقاء عندى ، لا أحد يمكنه أن يرغمك على مغادرة منزلى .

الـــيز : تقول انه ، بالرغم من كل شيء ، يمكننى أن أبقى عنـــدك ؟

كلينوف : هذا يتوقف عليك .

الـــيز : لكن ... لكن ... منذ لحظة كنت تقول العكس ..

كلينوف : يلزمنى أن أبين لك حقيقة موقفك حتى أجعلك تفهمين جيدا ما أعرضه عليك ... الطريقـــة الوحيدة لانقاذك (كما لو كان يفكر بعمق) أنت تعرفين وحـــدة حيـــاتى . ليس لى اهـــل ولا أصدقاء ... لا أحد يهتم بفعل من أفعالى .. حتى ولا وارث أترك له ثروتى البسيطة ، اذ أنه فى ظرف سنة ... وقد يكون أقـــل ... من يدرى؟ .. سوف أختفى عن سطح هذه الأرض .. كلا ، كلا ... لا تقاطعينى . انى أقول الأشياء كما هى . دون أن أضر بمصلحة أحد ، يمكننى اذن أن أقوى مركزك فى منزلى بحيث تصـــيرين فى مأمن من كل شيء . أتوافقين ؟ انى أتقـــدم اليك ، يا أليز ، طالبا أن تكونى ... أرملتى !

الـــيز : (غير فاهمة) ماذا تعنى ؟ أنت تريد ... تقترح أن ... أن تتزوجنى ؟

كلينوف : أجـــل .

السيز : تريد أن تتزوجنى ... أنا ؟ بعد كل ما تعرفه !
أوه ! كنت على حق اذن فى قولى انك أفضل رجل فى العالم . ولكن لا تخف ... انى أرفض ... سوف لا أستغل شفقتك الى هذه الدرجة .

كلينوف : (هازا كتفيه) كما تريدين . فكرى ! انى أترك لك الخيار !

السيز : (وجلة) لكنى لست أملك ما أعطيه لك مقابل ذلك .

كلينوف : وهل طلبت شيئا ؟ انى قدمت لك اقتراحا ... دون شرط . لا تكلفى نفسك مشقة التردد اشفاقا على . الظاهر انك تفكرين فىّ أكثر مما تفكرين فى نفسك ... ما دام فى امكانك أن تتصورى وترتضى لنفسك مصيرا أتعس ، على ما ارى ، من البقاء فى منزلى ... تماما كما كنت من قبل ، لا فارق سوى ما يسبغه عليك هذا الزواج الصورى من حماية تامة مؤكدة .

السيز : (مرتبكة) أوه ! كيف أفسر لك ... انى شديدة الاضطراب ... لا تغضب ... لا تحكم على بشدة الحماقة ... اذا ما رفضت منحتك الكريمة ... أنت تعرف شديد تقديرى لجميلك .. ولكن .. ولكن ... لا يمكننى الموافقة على أن أصبح زوجتك ... ما دمت ... ما دمت لا أحبك ...

كلينوف : أهذا ممكن ؟ أنت لا تحبينني ؟ يا للغرابة ، لماذا أخبرتني بذلك ؟ الا تخشين أن تسببي لي خيبة أمل فظيعة ؟ (يسير في الغرفة وهو يصفر خفيفا ، فجأة يقف أمام أليز) أترين أن في هذا ما يمنعك من قبول اقتراحي ؟ كثير من النساء ، ياصغيرتي، لاسباب اقل خطورة ، يبعن الحب رخيصا ليضمن مأوى الزوجية . ولكن ربما كان لك مأوى أفضل؟ ربما كنت تنتظرين خطوبة أحسن من هذه ... خطوبة من شخص له عينان جميلتان وقلب ملتهب الى آخر ما يتبع ذلك ! ڤيديل مثلا ؟ هل يعجبك؟

اليز : ڤيديل ... لماذا تحدثني عنه ؟

كلينوف : أوه ! لقد ذكرت اسمه مصادفة (يلاحظها من طرف عينيه) ومع كل ، فيخيل لي أنه كان يبدي نحوك شيئا من الاهتمام ، منذ مدة ، ويحدث احيانا أن يقابل هذا النوع من الاهتمام بالمثل .

اليز : أنت مخطىء .

كلينوف : في أي شيء ؟

اليز : انه لا يهتم بي ... بالمرة .

كلينوف : أتعتقدين ذلك ؟

اليز : انا واثقة تمام الثقة .

كلينوف : تقولين ذلك بتأكيد غريب !

اليز : لأني أقول شيئا أعرفه .

كلينوف : وكيف توصلت الى معرفته ؟

اليز : لأن ... (تسكت) .

كلينوف : حسنا ... استمرى !

اليز : كلا ... كلا ... لا يمكننى .

كلينوف : آه ! يظهر أن الآنسة فى شدة الارتباك ! انى أشم رائحة سر صغير . أيكون من أجل هذا الشاب الجميل ... ترددك فى قبول أقتراحى (اليز لا تجيب) لا تجيبين ! هذا جواب حسن . مدهش، الآنسة اليز والهة بحب المثال ذى الشعر الأسود الفاتن ! فى الحقيقة ، اختيار لا بأس به ... (مخفيا حنقه وراء ابتسامة ساخرة) ليس عندى أقل نية فى أن أؤثر على تصميمك ، ياضغيرتى ... على العكس ، انى أقدر كل جميل أصادفه فى الحياة ... سواء كان تضحية مؤثرة فى سبيل الحب أو أى مثل آخر من أمثلة الجمال فى الحياة الانسانية . حقا ، ان الحب الذى يشمل نفسك لابد وأن يكون ذا قوة عنيفة نادرة ما دام يجعلك تفضلين الرجوع الى أبيك على البقاء هنا هادئة ..

اليز : لن أعود ... أبدا ... أبدا .

كلينوف : اذن ماذا تظنين أن فى امكانك عمله ؟ تهربين من جديد وتعيشين فى الطريق ؟ هذا جميل ، انى شديد الاعجاب ... فلكى تحتفظى بصورة

حبيبك فى قلبك ، تضحين بكيانك ... لا تخافين
من شيء ... تذهبين اليه ... حتى فى الحرام .
آه ! ربما كان لا يزال لديك أمل فى أنه سوف
يتناسى الماضى ! ... ولكن ، صدقينى ياصغيرتى ،
هذه مسألة تصعب على معظم الرجال .

السيز : لا تحدثنى هكذا . ان صوتك شديد القسوة ...
وما تقوله يسبب لى آلاما مبرحة ... يكفى ما أنا
فيه من ضيق ... أتحقد على لأنى لم أقبل
منحتك فى الحال ، أليس كذلك ؟ (مترددة) كنت
مخطئة ... نعم ، كنت مخطئة ... الآن وقد
فكرت (تنفجر فجأة فى البكاء) أقبل ، طبعا ...
ما دام يجب ذلك ... ليس أمامى طريق آخر ..
لقد أوضحت لى هذا ! وطبعا ، أشكرك ...
لأنك ... لأن ...

كليتوف : (ممررا يده بارتباك فوق رأس اليز) كلا ، كلا ،
لا تبك ياصغيرتى ! هناك شيئان لا أحتملهما : بكاء
المرأة وصرير القلم . كفى ... كفى ... أرجوك !

السيز : (وقد تمالكت نفسها) معذرة ... ان من الحماقة
أن أبكى ... ومن قلة الذوق أيضا بالنسبة لك .
على العكس ، يجب أن أبتهج بنصيبى ... كم
من النساء يحسدننى ... حتى على مجرد عثورى
على منزل يأوينى ... لن ترانى بعد الآن باكية ،
أعدك بذلك .

كلينوف : لا تعدى بشىء فوق مقدورك ، ياعزيزتى . أى زوج تصحبينه فى كل مكان ، أوه ! ... مسخ كالغول ... ومع امرأة صغيرة آية فى الجمال ... منظر تتقزز منه النفس ! والآن ، دعينا من الكلام فى ذلك ! لقد تقرر الأمر . ضعى سريعا بعض ملابسك فى حقيبة . سنرحل بعد ساعة . اذا كان ينقصك شىء سوف نشتريه فى الطريق .

السيز : نرحل ؟ هكذا ... سريعا ؟ ولكن الى أين ولماذا ؟

كلينوف : أنت تعرفين ... قراراتى دائما طارئة ... حتى بالنسبة لى فى بعض الأحيان . مضت مدة لم آخذ فيها أجازة من الجامعة . وأنا فى حاجة الى الراحة . وأيضا ، رحلة « شهر العسل » يجب أن لا تحذف بأى حال من برنامج « العرس » ...

السيز : لننتظر على الأقل بضعة أيام . كل ذلك يأتى فجأة ! ...

كلينوف : آه ! الآنسة تشعر أنها الآن سيدة المنزل ! وتريد أن تكون هى الآمرة ...

السيز : كلا ، كلا ، سأفعل ، طبعا ، ما تريد ... ولكن اذا كان لا يؤثر عليك تأجيل هذا السفر بضعة أيام..

كلينوف : أنا لا أحب أن أؤجل شيئا ما . يصير الانسان بخيلا بأيامه ... حينما يشعر أن الباقى له منها معدود ...

اليز : لا تلمح لهذا الموضوع ، أرجوك ! انه مؤلم جدا . وبماذا يمكنني أن أجيبك ؟ انك تغضب عندما أقول لك انى لا أعتقد ...

كلينوف : لا تكونى غبية ، يا أليز . على العكس ... ابتهجى فرحا حينما تفكرين انك سوف تصيرين أرملتى الصغيرة الجميلة . هذا هو الحل الوحيد المناسب لك ، يا عزيزتى . والآن عجلى باعداد ملابسك ! .. سنتم حديثنا فى الطريق . وقولى لمارى أن تحضر .

اليز : نعم (تسير ببطء نحو الباب) .

كلينوف : (يمسك بيدها ويقول فى شىء من التهيب) لا تقلقى ... سوف لا أسىء اليك .

اليز : (بحزن) بل أنت دائما تحسن الى (تخرج . كلينوف يبقى مفكرا ، ثم يجلس الى مكتبه ويكتب خطابا) .

مارى : (تدخل) ماذا يريد سيدى ؟

كلينوف : ملابس السفر .. هل هى معدة ؟

مارى : ماذا ؟ لوازم السفر ؟ فى هذه الأيام من الربيع التى هى أسوأ وقت للروماتزم ؟

كلينوف : (بضيق) لوازم السفر هل هى معدة ؟

مارى : مفهوم . انها دائما معدة ... كما أمر سيدى .

كلينوف : حسنا . عندما يأتى غدا السيد ڤيديل ، أعطيه هذا الخطاب .

مـــارى : ألا يريد سيدى أن أذهب فأسلمه له الآن ؟

كلينوف : أفعلى ما آمرك به ولا شيء سواه .

مـــارى : طيب ، طيب .

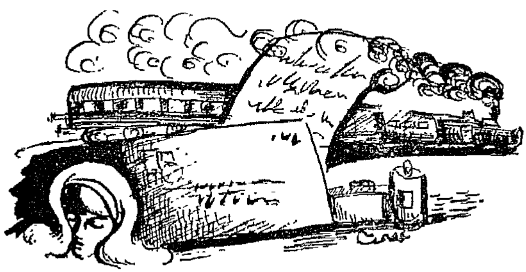
كلينوف : (يناولها الخطاب) ها هو .

مـــارى : شكرا ، سيدى (تتأخر برهة مقلبة الخطـــاب في يدها) .

كلينوف : ظاهر على وجهك الفضول ياصغيرتى الآنســـة كرستنسن . أتريدين أن أوفر عليك مشقة محاولة قراءة الخطاب وهو داخل الظرف ؟ أيسرك أن تعرفي ما كتبته ؟ حسنا ، لقد كتبت أنى سأتزوج اليز وأننا سنسافر في رحلة بعد ساعة . هه ! هل استرحت الآن ؟ (يخرج بسرعة من الشمال) .

مـــارى : (في شدة الدهشة) يا اله الرحمة ! ...

ســـتار





الفصل الثانى

صالون فندق باحدى مدن الشاطىء فى الخارج . فى الصدر باب كبير يفتح على شرفة تطل على منظر البحر. اليز متكئة على حافة الشرفة .

كلينوف جالس فى الصالون ، بين يديه صحيفة ، ولكن عينيه تارة يتبع بهما حركات اليز ، وتارة يغلقهما بتعبير يدل على فرط الاعياء .

السيز : (مخاطبة كلينوف من الشرفة) هذه ساعة النزهة، الآن . ياله من زحام ! ... تعال هنا قليلا ، يا جيرار . انك دائما تلازم الغرفة المعتمة .

كلينوف : أنا مستريح جدا هنا .

السيز : أنت تقرأ ؟

كلينوف : نعم .

السيز : الا ترى أن ذلك يتعب عينيك كثيرا ؟

كلينوف : ليس فى هذه اللحظة .

السيز : (وهى تتكىء ثانيا على حافة الشرفة) أوه ! ما أجمل هذه المرأة ! أى ثوب بديع ! ... وهى تلبس عقدا من اللؤلؤ ... حباته كبيرة كالبندق (بعد برهة) غريب ... حقا أن هناك نساء لا يفكرن فى شىء مطلقا سوى الملابس الجميلة ... (تسمع موسيقى عن بعد) اسمع ! ... انه « أركستر » الكازينو قد بدأ (تتبع برأسها نغم الموسيقى) أحب صوت الموسيقى عن بعد ... أود أن أترك نفسى هكذا ، تهدهدها هذه الموسيقى برفق ... وأسبح فى عالم الأحلام ... (ترجع من الشرفة ، وبعد برهة صمت تقول) ستقام حفلة راقصة ، هذه الليلة ، فى الفندق . نحن مدعوان . هذا مكتوب على اعلان معلق فى الدهليز ... أرأيته ؟

كليتوف : معنى ذلك أنك تتوقين الى حضور هذه الحفلة ؟

السيز : أوه ... أنا ، أرقص ! ... (تتنهد) ربما رغبت في حضورها من أجل أن نسرى عن أنفسنا قليلا ! ... أننا دائما نبقى وحيدين هنا ، نحن الاثنين ...

كلينوف : اسئمت ؟

السيز : (بلهجة أنيسة) ولكن كلا ، كلا ! ... فقط ... وحدتنا تظهر لى أشد قسوة هنا ، وسط هذه الحياة الحافلة . كل هذه الزهور ، ثم الموسيقى وهذه الشمس الساطعة ... تشعرنى كأنما اتقدت الحمى من حولنا :

كلينوف : ان الحمى متقدة فيك أنت نفسك ، يا صغيرتى . منذ لحظة ، كانت عيناك تلتهب رغبة لدى رؤية ملابس النساء الأخريات ... « المزيد ، المزيد » هذه صيحة الجمهور ... وأنت منه . ما زلت أذكر حذاءك البالى الموحل ليلة مقابلتنا ...

السيز : (وقد آلمتها كلماته) منذ مدة ، وأنت تؤلمنى بأمثال هذه الكلمات القاسية . لماذا ؟ ... أعيناك تؤلمانك أكثر ؟

كلينوف : نعم ... عندما أراك .

السيز : (تنظر اليه محملقة) ما الذى تريد أن تقوله ؟

كلينوف : لا شيء . انى أمزح (برهة صمت) وعلى أى

حال ، أعتذر لك . أنا أيضا أطلب « المزيد ! » البارحة سمحت لى عن طيبة خاطر أن أقبل يدك . . . تجاسرت أنا ووصلت بفمى الى المرفق . . وحينئذ ابتعدت كما لو كانت قد لسعتك نار محرقة .

السيز : أنا فعلت ذلك ؟ لا أذكر . . .

كلينوف : حقا ؟ كان ذلك اذن دون وعى ؟ وهذا أسوأ . . .

السيز : (باخلاص) جيرار ، انه مما يشرفنى أن تقبل أنت يدى .

كلينوف : آه ! يشرفك ! . . . أشكرك . أنت تجيدين تمثيل دورك ، أيتها المخاتلة الصغيرة .

السيز : دورى ؟ . . . ولكن ماذا تقصد ؟

كلينوف : لا شىء . على كل حال ، هذا المرقص . . . سوف نذهب اليه ، طبعا ، ما دام ذلك يسرك . أعنى . . أننى سأقودك اليه ، كما لو كنت خادما يسير فى ركاب سيدته ، لأعجب بك عن بعد . التانجو لم يخلق لمثل قوامى الرشيق . أما لاحظت نظرات العطف تتبعك فى كل مكان نذهب اليه ؟ مسكينة هذه السيدة الصغيرة الفاتنة . . . مع هذا الزوج البشع !

السيز : (لا تدرى فى أول الأمر كيف تجيب ، ثم تقول) ولكنك جيرار كلينوف !

كلينوف : (ضاحكا) جيرار كلينوف ... حقا ! ياله من عملاق ! ربما ظننت ان الراقصين يتحدثون بفلسفتى بينما تلمس أجسامهم أثواب من معهم من نساء حسان !

السيز : (بشدة) لنترك الكلام عن هذا المرقص ! لا أريد مطلقا الذهاب اليه . سوف لا يكون هنالك سوى أغراب ، لا أحد يسرنى مقابلته ... كلا ، لن نذهب ... كل هؤلاء الأشخاص الذين لا أعرفهم ... تنقبض نفسى لرؤياهم .

كلينوف : فيمن تفكرين ؟

السيز : فيمن أف ...

كلينوف : تفكرين فى شخص تودين مقابلته ، وهو لا يأتى .. والا لما انقبضت نفسك لرؤية الآخرين ... (مضيفا بسرعة) لا تعارضينى ! أنا أعرف .

السيز : (قلقة) وهل يعرف الانسان دائما هو نفسه فيما يفكر ... (تخرج مرة أخرى الى الشرفة لرؤية المتنزهين ، ثم ، تستدير نحو كلينوف) لقد أدركت الآن فيما كنت أفكر ... لم أكن أفكر فى ... فى ... الشخص الذى تلمح عنه غالبا .. لكنى كنت أفكر فى كل العالم ... فى كل الناس ، كل أولئك الذين يسيرون فى الطريق تحتنا ، يطفح من وجوههم البشر والسرور . أريد أن

أعرفهم جميعا ... أعرف أفراحهم وأتراحهم وهل يتألمون رغم ابتساماتهم ؟ ... أيدركون ما هى السعادة الحقة ؟ ... من يحبون ؟ وهل يفكرون جميعا فى غرامهم ؟ أفكر فى كل هذه الحياة حولى ، تلك التى أجهلها وسأظل لها جاهلة ... وهذا ما يقبض نفسى .

كلينوف : أنت اذن تفكرين فى الحب ، ما دمت تعتقدين أن الآخرين يفكرون فيه ؟

السيز : (تدخل ثانيا وتبقى مفكرة عند باب الشرفة) الحب ... لم يحببنى أحد قط . انى أجهل هذه السعادة .

كلينوف : طالما تجهلين هذه السعادة ، ياصغيرتى ، فأنت تؤمنين بها .

السيز : أوه ! نعم ، أعتقد ذلك . لماذا نعيش ، اذا لم يكن هنالك سوى تلك الأشياء الكئيبة التى تصادفنا كل يوم ؟ لقد منحنا الحياة لنكون سعداء ... هذا ، ما أعرفه ، أشعر به ، اقرأه على صفحة السماء ... البحر ... الشمس ... الزهور .

كلينوف : وأنا أيضا ، أومن بالسعادة كل الايمان . يكفى أن نصبو الى شىء بكل نفوسنا ... دون أن نناله ... لندرك أن السعادة كائنة ؛ لأننا عندئذ ، ندرك ... أننا محرومون منها .

الـــيز : (وهى تحملق اليه) أحقا هل هناك شيء تتمثل فيه عندك السعادة ؟

كلينوف : (بابتسامة ساخرة) هناك أنت .

الـــيز : انت تجيبنى بدعابة لتخفى أفكارك . لم أصــل مطلقا الى فهمك . مع ذلك ، عندما تتنازل أحيانا فتحدثنى عن نفسك ، يسرنى ذلك . لقد علمتنى أن أفكر بحرية . . . دون خوف . . . دون تأثر . والآن ، أجبنى بصراحة ! ما هى أسمى أمانيــك فى الحياة ؟ ما هى أقصى آمالك ؟ ما هو الغرض الذى تنزع اليه روحك ؟ أهو تقدم الانسانية الذى طالما حدثتنى عنه ؟ أهو فلسفة جديدة ؟ اله ؟ . . أم هو فقط صحتك ؟ . . . عيناك ؟ قل لى ، أود أن أعرف .

كلينوف : (ناظرا اليها) أحقا تودين أن تعرفى ، ياأليز ؟

الـــيز : نعـــم .

كلينوف : هو الموت .

الـــيز : الموت ؟ . . .

كلينوف : رغبة معقولة ، أليس كذلك ؟ . . . ليست فى حدود المستحيل .

الـــيز : (بعد برهة صــمت) اذن قد كنت محقـــة ، يا جيرار . . . منذ مدة ، وأنا أشعر بأنك معذب ، قلق . . . (بصوت ملؤه الشفقة) عيناك . . . أنت خائف ، أليس كذلك ؟

كلينوف : لست أخاف شيئا ... ما دمت واثقا أن أسوأ ما سيصيبنى لا مفر منه .

لـــيز : ولكنك سريع الاستســلام ... كل مرض قد يشفى .

كلينوف : ألم أخبرك من قبل أنه كان لى أخ ؟

الـــيز : كلا .

كلينوف : حقيقة ، أنا أتكلم عنـــه نادرا ... لست مغرما ب ... بهذا الضرب من الحديث . باختصار ، كان لى أخ . مات منذ أربع سنوات ... مخنوقا بحبل لفه حول عنقـــه . كان هو البكر . كان يشبهنى تماما ... فى ضـــعف البصر وقصره . عندما قارب السن التى أنا فيها الآن ، بدأت عيناه فجأة تـ ... تجودان عليه بنفس النعم التى تجود بها الآن عيناى على : آلام وفقدان بين حين وآخر للبصر ... وبعد سنة ، كان أعمى .

الـــيز : أتوسل اليك ، اذهب لاستشارة طبيب عيون ! لماذا لا تريد الذهاب ؟ حتى ولو احتاج الأمر الى اجراء جراحـــة ...

كلينوف : هذا هو نفس ما فكر فيه أخى . لقـــد استشار خمسين طبيبا كان كل منهم يصف له دواء مناقضا للآخر . وعندما جن فى النهـــاية نتيجة ما كان يتناوبه من اليأس والأمل ، أقسمت أنا أنه فى مثل

حالته سوف أوفر على أعصابى هذا الجهد الاضافى الخفيف .

السيز : جرب ولو مرة واحدة ! ... لماذا تريد أن تترك كل أمل ؟

كلينوف : تحياتى لذلك الأمل ... انه اختراع جميل للعوانس اللائى ينتظرن عشاقهن الى سن الستين ... انه ولا شك يمدهن بالعزاء والسلوى . كلا ، يا صغيرتى ، الأمل لم يجعل لى ... هذه الأكذوبة الملطفة التى يسر بها الانسان الى نفسه لا قيمة لها بالنسبة للرجل الذى له الارادة على أن يسيّر حظه .

السيز : ولكن ... ولكن ... اذا كان حقا سيصيبك هذا الشىء الفظيع ف ... فتصبح أعمى ، اذن يكون الحظ هو الذى ...

كلينوف : (بشدة) حقيقة ، اذا ما ارتضيت حكمه ...

السيز : (بعد برهة صمت) الآن ، قد فهمت فيما تفكر حينما تحدثنى عن موتك القريب . تريد أنت نفسك أن ...

كلينوف : نعم . ولسنا فى احتياج الى الكلام فى ذلك مرة أخرى . انى أمنعك من الآن فصاعدا من التحدث ... بل من التفكير فى هذا الموضوع ،

يا عروستى . سوف ننساه ... نحن الاثنين .. مدى ثمانية أيام على الأقل !

السيز : (بحزن) ننسى ...

كلينوف : هيا ! هيا ! اتركى هـذا الحزن ! ابتسمى ... فابتسامتك ولاشك هى الشيء الوحيد الذى يبعث الى نفسى السرور .

السيز : (بعد برهة) جيرار ... هيا بنا نعود .

كلينوف : ولمـاذا ؟

السيز : هذه الرحلة ، أى سعادة تمنحها لنا ، ونحن هكذا يرفرف علينا ...

كلينوف : (وهو ينظر اليها) هـذه ثانى مرة تطلبين فيها الرجوع . ما الباعث لك على ذلك ؟ ...

السيز : لا لشيء الا أنى تعبة .

كلينوف : تعبة ؟ بعد شهرين ... شابة صغيرة مثلك ، ترى لأول مرة فى حياتها نواحى جديدة من العالم ... هذا غريب .

السيز : انى لا أفهم ذوقك فى السفر ، ياجـيرار . أنت لا تريد ان ترى شيئا مطلقـا ... لا الريف ، ولا المدن ، ولا الناس . تلازم الغـرفة كعادتك فى المنزل . وأيضا لا تريح نفسك ! فلماذا تفضل اذن غرف الفندق على غرفة مكتبتك الخاصة ؟

كلينوف : انا هنا مجهول مضيع بين الناس ، وهـذه هى

الراحة . لا أحد يعـــرف أين أنا ، فيمكننى أن أشتغل بهــدوء دون أن يزعجنى خصـــومى أو المعجبـون بى ... مقـــالاتهم فى الصحف ، حمـــلاتهم ، دفاعهم ... أى لذة فى أن يكون الانسان بمأمن من كل هذه المقلقات ! ثم محاضراتى فى الجامعة ! ذلك المجهود اليومى فى أن أعيـــد ببلاهة نفس أفكارى أمام جمع من السذج ! ... أتظنين ذلك هينا ؟ أن ذلك يضجرنى أحيانا لدرجة أنى أحشو محاضرتى بآراء غريبة ، خاطئة وغير معقولة . وحينئذ ، أسمع همسا فى الصالة : « أى عبقرية ! » (ضاحكا) واها من الخليقة الانسانية ..

السـيز : (بعد برهة صمت) ومع ذلك فهناك شخص يعرف مقـرنا .

كلينوف : من ؟

السـيز : ڤيـــديل .

كلينوف : ڤيديل ؟ ... وكيف عرف ... ؟

السـيز : أنا كتبت له .

كلينوف : (وقد فقد تمالك نفســـه) أنت كتبت له ؟ ... متى ؟ ... ولماذا ؟ وكيف جرؤت ؟ ...

السـيز : (مندهشة) جيرار ، ألهذه الدرجـــة يثـور غضبك ! ... انى آسفة لمخالفتى لك ، ولكنى لم أكن أدرى انك تريد الاختفاء عن الناس جميعا .

كلينوف : ولم فعلت ذلك ، اذن ، دون أن تخبرينى ؟

السيز : الحقيقة ، انى لم أر أهمية لأخبارك !

كلينوف : ماذا كتبت له ؟ أريد أن أعرف . تكلمى . سريعا (وقد تمالك نفسه) . كلا . لا تجيبينى ... لا أود معرفة شىء ... هذا لا يهمنى . ان لك الحق أن تكتبى ما تشائين ولمن تشائين .

السيز : سأخبرك ... ليس فى الأمر سر . كنت وعدته أن أطلعه على كل ما يحدث لى . ولما كان سفرنا سريعا ومفاجئا ، لم أتمكن من اخباره بزواجنا . وعلى ذلك فقد كتبت له بما حدث ... كيف أنك أردت حمايتى من أبى وكيف كنت بى رفيقا . هذا كل شىء . ولكن البارحة صباحا وصلنى منه خطاب غريب ...

كلينوف : منـــه ؟

السيز : نعـــم .

كلينوف : البارحة صباحا ؟ ولم تخبرينى ؟ ...

السيز : أردت أن أطلعك عليه ، ولكنك لم تكن قد صحوت من نومك حينما استلمته . وبعد ذلك ... سهى علىّ . ها هو . اقرأه اذا أردت (تخرج خطابا من جيبها وتقدمه له) لا أفهم مطلقا ماذا يريد أن يقول ...

كلينوف : (يأخذ الخطاب ، يتردد ، ثم يلقيه على المنضدة)

احتفظى بأسرارك لنفسك . لا أريد أن أغتصب ثقتك . هذا معناه انى أعطيك مثلا سيئا فيه فسخ لما اتفقنا عليه . . . وأظنك تذكرينه جيدا ، أليس كذلك ؟ أفكارك ملك لك ، أما أفعالك فهى ملك لى .

السيز : ولكننى أنا التى أمنحك ثقتى اختيارا ! ليس لى صديق خير منك . كما أنه ليس لدى ما أخفيه عنك . ومع ذلك ، فكل ما كتبه لى هو : (تقول ذلك عن ظهر قلب) « استلمت خطابك . أشكرك على ما أخبرتنى به . أريك ڤيديل » . لا كلمة غير ذلك ! هذا غريب ، أليس كذلك ؟ (بصوت حزين) اذا لم يكن لديه ما يخبرنى به ، لماذا اذن كتب لى ؟

كلينوف : (يسير وهو يصفر خفيفا ، ثم يقف فجأة) أوف ! ما أشد حرارة اليوم ! الشمس لا تطاق . ماذا طلبت منى ؟ معنى هذا الخطاب ؟ . . . وكيف يمكننى أن أعرف ؟ يوما ما ، عندما ترين هـــذا السيد ، سوف تعرفين بلا شك (يذهب الى باب الشرفة) ان الانسان يكاد يختنق . . يختنق ! . . غدا ، سوف نرحل الى الشمال ، ياأليز . . . ربما ، الى مقاطعة بريتانى . سأريك هناك نواحى من جمالها البكر ! كونى على استعداد ، غـــدا فى الصباح البـــاكر . سأذهب الى نزهتى الآن ،

فى الظل ، وراء المنازل ؛ لا أدعوك معى . أعدى أنت لنا معدات السفر .

السيز : سنرحل مرة أخرى ، ياجيرار ؟ ولكن لماذا ؟ نحن هنا فى مكان جميل جدا ، الهواء صحى ومنعش ! أننا نمضى طول الوقت فى القطارات .

كلينوف : (مختصرا الحديث) ان موسيقى الكازينو هى التى تضايقنى . الى اللقاء بعد برهة (يخرج) .

السيز : (تنظر اليه وهو خارج هازة رأسها) الى اللقاء (تأخذ خطاب ڤيديل من على المنضدة لتعيده الى جيبها ، تتردد ثم تعيد قراءته . تقبل الخطاب فجأة . تبقى سابحة فى أفكارها ، ثم تبدأ فى سماع الموسيقى الآتية عن بعد وهى تتابع النغم برأسها تتنهد بغتة ، مادة ذراعيها بحركة تدل على الضيق والحسرة) الحياة ... الحياة ... (يسمع دق على الباب) من الطارق ؟

خادم من الفندق : (يدخل ومعه بطاقة زيارة) هذا السيد يسأل ما اذا كانت السيدة تسمح بمقابلته ؟

السيز : سيد ؟ ولكنى لا أعرف أحدا هنا ... (تقرأ الاسم الذى فى البطاقة) رباه !

(تضطرب لدرجة انها تنسى أن ترد على الخادم)

الخادم : هذا السيد ينتظر تحت .

السيز : نعم ، نعم ... قل له أن ... دعه يصعد ، من فضلك .

الخادم : أمرك ياسيدتى (يخرج) .

السيز : هذا مستحيل ... هذا مستحيل .

(بدافع من الفريزة النسوية ، تسرع الى المرآة كى تنظم شعرها ، ثم تنتظر وهى فى حالة اضطراب شديد .

فيدل : (يدخل) صباح الخير ، ياأليز . أشكرك على سماحك باستقبالى .

السيز : ولكنى لم أفق بعد من ذهولى لرؤيتك هنا ! كم أنا سعيدة ! متى وصلت ؟

فيدل : هذا الصباح .

السيز : هذا الصباح ؟ ولم تحضر توا لرؤيتنا ؟

فيدل : لقد انتظرت اللحظة التى أجدك فيها منفردة . وحالما رأيت جيرار يخرج ...

السيز : (مندهشة) كيف ؟ ألا يجب أن يعرف جيرار انك هنا ؟

فيدل : سيعرف جيدا .

السيز : (وهى تنظر اليه) أنت تقول ذلك ... بلهجة غريبة . اذن فأنت لم تأت الى هنا ... محض مصادفة ... فى أثناء مرورك ... ولما علمت بوجودنا ...

فيدل : لقد أتيت الى هنا لأحادثك .

اليز : لتحادثنى ؟ ... وهل قمت بهذه الرحلة الطويلة لا لشىء الا أن ... ؟

ڤيدىل : نعم ، لا لشىء الا أن أقول لك أنى أحبك ، ياأليز .

اليز : (وهى تعتقد أنها فى حلم) أنت ... تحبنى ! أوه ! ... هذا لا يمكن أن يكون حقيقة ...

ڤيدىل : يقينا ، أنت محقة فى ارتيابك ، اذ كنت شديد الحماقة فى تصرفى . دفعتنى أنانيتى الى البقاء بعيدا عنك فى اللحظة التى كنت فيها فى أمس الحاجة الى . كان ذلك أسوأ جزاء لثقتك بى . حينما قصصت على قصة حياتك ، نسيت أنك أنت الجديرة بالرثاء ... لم أفكر الا فى غرورى . اغفرى لى ، يا أليز ... لست سوى رجل كباقى الرجال ، لا أفضل ، ولا أسوأ . لقد عوقبت بقسوة ، أنا نفسى ، حينما أدركت كل الضرر الذى سببه تحرزى وترددى ...

اليز : (وهى تكاد لا تعرف كيف تتكلم من الفرح) أنا .. أنا ... التى التى يجب أن تغفر لك فى اللحظة التى تمنحنى فيها هذه السعادة المفرطة !

ڤيدىل : (وهو يأخذها بين ذراعيه) عزيزتى ، عزيزتى اليز . كنت أعرف ... كنت آمل ... أنت أيضا تحبيننى ؟ قولى ذلك ... فكم أكون سعيدا بسماعه من فمك ...

اليز : أحبك ... منذ أول مرة رأيتك فيها ... كلا ،

بل كنت أحبك دائما ... أعتقد أنى كنت أحبك قبل أن أعرفك ... وحبك هو الذى أمدنى القوة على أن أحيا وأجتاز أقسى العقبات ... (مسندة رأسها على كتف ڤيديل) نعم ... نعم ... كنت ارى السعادة عن بعد ... ولكنني ما كنت آمل الوصول اليها .

ڤيديل : (وهو يضمها الى صدره بحنو) مسكينة ياصديقتى الصغيرة ... انس كل شيء ! انس أنك تألمت ... حتى ما سببته أنا لك من شقاء . سأحميك من كل آلام الحياة ! أحبك ...

اليز : (مغلقة عينيها) لو كان فى امكانى أن أموت الآن .. هنا .. بالقرب منك .. هيهات أن أعيش لحظة أشعر فيها بمثل ما أشعر به الآن من سعادة .

ڤيديل : أتذكرين الموت فى نفس اللحظة التى نبدأ فيها الحياة ، فى اللحظة التى بدأنا نشعر فيها أن حياتنا لم تعد عبثا ، ما دمنا متحابين . ان الحب هو المعجزة التى ننتظرها جميعا ، هو الأحجية التى تفسر لنا الحياة . أريد أن أحيا ، ياأليز ، أحيا وأبدع ... أشعر أن العالم ملك يدى ... لأنى أحبك .

اليز : استرسل فى حديثك ... دعنى أسمع صوتك .. قل لى ثانيا انك تحبنى ! لأنك حينما تسكت ،

يخيل لى أن كل ذلك ما هو الا حلم ...

فيدل : وأنا أيضا ، كنت أحبك دائما . أحببتك لأول مرة رأيتك فيها ... عندما أعطيتنى يدك ، تلاقت عيناك بعينى وابتسمت لى ابتسامة سريعة خجول ... اليز ، ان لك عينى قديسة ؛ حينما ينظر الانسان الى عينيك حتى القرار يجد نفسه مساقا الى حبك ، هما عذبتان كدمعتين ...

اليز : قبلت يدى ، فى ذلك اليوم (وهى تشير الى يدها) هنا ... مكان قبلتك ! لو تعلم كم مرة منذ تلك اللحظة وضعت أنا شفتى مكان شفتيك..

فيدل : (وهو يقبل يدها) أيتها اليد الصغيرة العزيزة .. اليز ، قولى انها لى .

اليز : (وهى تمد له يدها الأخرى) كلى لك !

فيدل : طول الحياة ؟

اليز : طول الحياة .

فيدل : اذن اتبعينى ! لا تضيعى دقيقة واحدة . الأفضل أن نرحل قبل عودة جيرار .

اليز : (وهى كمن يصحو فجأة) أتبعك ...

فيدل : أنت تثقين بى ، أليس كذلك ؟ اذن أسرعى دون سؤال . ليس من واجبك أن تبقى مع جيرار . ان لى الحق أن آخذك من هنا . ولكن اسرعى ! فى الطريق ، سأقول لك كل شىء ...

اليز : ولكن جيرار ... ! أأتركه وحيدا هنا !

ڤيدل : (وهو يخشى ضياع الوقت) اليز ... عزيزتى الصغيرة ... اتبعينى ، يجب أن تتبعينى ... لا تضيعى الوقت .

اليز : سأتبعك طول الحياة ، ياأريك . ولكن لماذا تريد أن أهرب من هنا ؟ لا ضرورة لذلك . ان جيرار لم يتزوجنى الا ليحمينى من أبى ... لقد كتبت لك بذلك . هو يعطف على ، لكنه لا يحبنى ... سوف يمنحنى حريتى فى الحال ...

ڤيدل : (مترددا) يؤلمنى أن أحطم ثقتك بجيرار . كان يسرك أن تثقى بطيبته ... لقد خدعك ، يااليز .

اليز : خدعنى ! ... جيرار خدعنى ؟ فى أى شىء ؟ أنا لا أرى شيئا من ذلك .

ڤيدل : فى نفس اليوم الذى رحلتما فيه ، كنت قد ذهبت لأقول له انى أحبك وانى أريد الزواج منك .

اليز : (وهى لا تقدر على تصديق ما سمعت) جيرار اذن كان يعلم فى ذلك اليوم انك ... ؟

ڤيدل : وقد رفض بفظاظة أن يتركنى أراك . وفى الغد ، عندما عدت على أمل أن أجدك منفردة ، أعطتنى مارى ورقة منه ، يعلننى فيها انه قد قرر الزواج منك ليمنعنى أنا ، من الفوز بك .

اليز : (مضطربة) هذا غير ممكن ...

ڤيديل : ولهذا حينما تسلمت خطابك ، فهمت أى خدعة قد دبرها ليحملك على قبول هذا الزواج . دناءة لا يصدقها العقل ! لقد أدخل فى روعك أنه لا يزال لأبيك حقوق عليك ...

السيز : أدخل فى روعى ؟ أليس هذا حقيقة .

ڤيديل : كلا . ولو كنت سألتنى ، لأجبتك : انه فى اليوم الذى تبلغين فيه . سن الرشد ، لا يبقى لأبيك عليك أى سلطة .

السيز : (مثقلة) اذن ... كل ما قاله لى جيرار ... كان كذبا ؟ يكذب على ! هو ؟ هذا شىء لا يصـــدقه العقل ... يا الهى ، لم فعل ذلك ؟

ڤيديل : أحقا ، أنت لا تحزرين السبب ؟

السيز : كلا ... كلا ... قاله لى !

ڤيديل : لأنه يحبك ... وبما أنه لا يأمل قط أن تقابلى حبه بحب مثله ، فقد أخذك بهذه المكيدة .

السيز : هو يحبنى ؟ ... جيرار ! ... أوه ! الآن ، أنا واثقة بأنك مخطىء .

ڤيديل : كيف ، أمن الممكن أنك كنت تجهلين ؟ هذا شىء لا يخفى على أحد ... انه يقرأ فى العينين ... (مترددا) يحس به فى الملاطفات ... حتى ما كان منها مصدره الود البرىء !

السيز : انى أنا التى أقبله فى جبهته عندما أقول له سعدت

صباحا أو الى اللقاء . وهذا كل شىء . أبدا ، لم يأت بحركة ، لم يفه بكلمة ، أفهم منها أنه ... كلا ، انت مخطىء ... انه لا يحبنى (فجأة) ومع ذلك ، فأذكر الآن ... انه مسـرة ... (تبقى مفكرة) .

قيـديل : هيا معى ، ياأليز ! لقد ارتكب جريمة دنيئة نحونا نحن الاثنين ... سلبك حريتك ، وسلبنا سعادتنا ...

اليـز : (وقد عاودها اضطرابها) ولكنه رجل مريض ... يتألم . عيناه ... أمن حقى أن أتركه هكذا ؟

قيـديل : (متعجبا) أما زلت مترددة ، ياأليز ! ألا تشعرين بالسخط عليه عندما تفكرين فى خداعه ، فى كذبه ، فى اساءته البالغة الينا نحن الاثنين ؟

اليـز : لا يمكننى أيضا أن أنسى أنه أحسن الى كثيرا .

قيـديل : (وقد اعتراه اليأس فجأة) مسكينة أيتها الصغيرة الضعيفة ! ... اذن ، ليس لدى ما أقوله سوى أن عليك أن تتبعى قلبك ، ياأليز .

اليـز : أوه ! ليتنى أجرؤ .

قيـديل : صدقينى ... ان لك الحق ألف مرة فى استرداد حريتك بأية طريقة . بل ان ذلك من واجبك ... نحو نفسك ونحوى أنا !

اليز : ما دمت واثقا من ذلك كل الوثوق ... حسنا .. سأتبعك .

فيديل : الحمد لله أنك فهمت ! اسرعى ، اذن ... خذى معك حقيبة . سنعود دون تأخير . أتسمعين هذه الكلمة ، ياأليز ؟ سنعود ! الى عشنا ، عشنا نحن الاثنين ... ياعصفورتى الصغيرة التى أحبها كثيرا ...

اليز : ان سعادتى لا حد لها . انها تخيفنى . قالت لى أمى يوما ، ان أفراحنا مهما كانت ضئيلة ندفع ثمنها غاليا ...

فيديل : (مشغولا بالدقائق التى تمر) اسرعى ... اسرعى ...

اليز : (وهى تخرج من « الدرج » حقيبة سفر صغيرة ، وتفتحها) لا ، لن آخذ هذه . لقد أعطاها لى جيرار ... كان قد نقش اسمى على كل ما بها من أدوات ... (تقف ساهمة) وكان سعيدا بذلك كل السعادة .

فيديل : (بشدة) اتركيها . اتركى كل شىء . سنجد فى الطريق كل ما يلزمك .

اليز : اريك ... أى شقاء لو كنا قد ظلمناه ! ...

فيديل : أنا لم أتهمه جزافا . لقد كنت مثلك مخدوعا فيه . جيرار كان صديقى الوحيد .

الـــيز : ... أو اذا كان حقا يحبنى ! أى قسوة من جانبى فى أن أهجره هكذا ! اريك ، أرجوك ... لننتظر رجوعه ! سأقول له فى صدق واخـــلاص انى سأتركه . مهما كان قد فعل ، فله الحق فى أن يدافع عن نفسه .

قيـــديل : اليز ، اذا كنت تريدين انتظـاره ، فليس لى أنا الا أن أذهب . لن تمضى خمس دقائق على رجوعه حتى يكون قد أغراك بالبقاء . انه ماهر جدا فى أن يغير كل شيء ... سيصير الأســـود أبيض ، سيتلاشى أثر أكاذيبه ... اليز ، هيا بنا ، أتوسل اليك ! أنت ، بهذه الوداعة ، بهـــذا الضعف ، لا يمكنك أن تقفى فى صراع أمامه .

الـــيز : لن يكون هناك صراع . سوف ترى بنفسك . سيمنحنى حريتى عن طيب خاطر ، أنا واثقة من ذلك . انظر ... ها أنا أستعد للرحيل معك ... ها أنا على تمام الاستعداد ... (تلبس قبعتها ومعطفها . برهة صمت . تتقدم نحوه) اريك ، قل لى مرة أخرى انك تحبنى . أنا فى حاجة الى القوة التى تبعثها فى هذه الكلمة .

قيـــديل : (وقد أخذ يديها بين يديه ، مربتا عليهما) أنت ترتجفين !

الـــيز : أخاف من رؤيته تعيسا بعد رحيلى .

قيـــديل : لا ، لا ، لن أتركك تنتظرينه . هيا ، ياأليز ، قبل ضياع الفرصة .

الـــيز : (تتسمع) هو ... نعم هو ! كلا ... ان الخطوات تبتعد ... (بعصبية) أريد أن يأتى الآن . هذا الانتظار مؤلم جدا . اريك ، لا تقلق . سأتبعك . ان الحياة نفسها لم تعـد لها قيمة عندى . اذا ما حيل بيننا ، فلن أعيش بعدها ، الآن وقد علمت انك تحبنى .

قيـــديل : أنت غاية فى الضعف وهو غاية فى القوة .

الـــيز : ولكنك هنا الى جانبى (تتسمع ثانيا) فى هـذه المرة ، انه هو ... نعم ...

كلينوف : (يدخل . وحين يرى قيديل يقف عند الباب ، برهة صمت طويلة . يذهب ببطء ويعلق قبعته على المشجب . ثم يقترب من قيديل وينظر اليه لحظة قبل أن يتكلم) لقد كنت سريعا جـــدا ، ياصديقى .

قيـــديل : لست صديقك ...

كلينوف : أهنئك . أنت سريع الحفـــظ ، فما زلت تذكر تعريفى للصداقة . لقد أخذت القطار اذن ، حالما وصلك خطاب اليز ؟

قيـــديل : وهل هذا يدهشك ؟

كلينوف : كانت سعادتك لا تقدر بوصول هـــذا الخطاب اليك ، هـ ؟

فيـــديل : لسوء الحظ ، لقد وصل متأخرا جدا عن أن يتيح منعك من خيانتك الوضيعة ... ومع ذلك ففى الوقت متسع لمنعك من جنى ثمارها .

كلينوف : يا لها من ألفاظ منمقة : خيانة ... جنى ... ثمار ... على كل حال ، أنا أقـدر عواطفك . لو كنت مكانك ، لقلت وفعلت مثلك تماما . يسرنى أن أجد خصما يكاد يكون ندا لى ...

فيـــديل : لا تتخذ تلك اللهجة الساخرة ، ياجـــيرار . ان سرورك سوف يتلاشى ، عندما تهجرك اليز !

كلينوف : آه ! أستهجرنى ؟ حقـــا ، كان يجب أن أتوقع ذلك ... (يسير وهو يصفر خفيفا ، ثم يقف أمام اليز) أرى أنك قد ارتديت معطف سفرك .. والقبعة الزرقاء التى تناسبك تماما ! سعيدة أنت أيتها الصغيرة ... انى أحسدك ! ما أسعد حظك فى أن تجدى فجأة سببا للفرار ... وحبيبا تفرين معه ... ولا أحد يقف فى طريقك ! اذ ليس فى نيتى مطلقا أن أفعل ذلك .

الـــيز : (وهى ترتعد) اذن كان حقا ، ياجيرار ؟

كلينوف : أى حق ؟

الـــيز : ما ... قاله لى أريك .

كلينوف : اريك ... آه ! أرى انك تنادينه بأسمه الصغير ! كل تهانئى . سواء كان حقا أم غير حق ... ماذا

يعنيك من ذلك فى نهاية الأمر ؟ أنت تتوقين الى هجرى ... حسنا ، اتركينى ! وما سوى ذلك لا يهم كثيرا .

الـــيز : لم أرد أن أذهب قبل التأكد من أنى لم أتهمك ظلما بـ ... بأنك ...

كلينوف : (مقاطعا) آه ! أنت كالقاضى قبل تنفيذ الحكم : يريد أن يتخذ من اعتراف المجرم ما يجفف عرق القلق عن جبينه . حسنا ! سأريح ضميرك . دون أن أعرف تفاصيل ما قصه عليك حبيبك اريك ، أقول لك : ثقى به . انه معتاد أن يقول الصدق . هذا وراثى فيه . لقد كان أبوه موثقا ، والموثقون قلما يجرؤون على الكذب . الوثائق دائما موجودة لاثبات الحقيقة . اذن ، فلتكن لك كل الثقـــة بحبيبك اريك . قد يكون فى حديثـــه شىء من المبالغة ، بفضل ما له من طبيعة الفنان المبتكر . ومع ذلك ، فالصفات التى ينعت بها عملى مثل : دنىء ، سافل ، وضـــيع ... الخ ، تكاد تكون فى موضعها .

فيـــديل : ما دمت أنت نفسك تنعت عملك بهذه الصفات ، لو كنت مكانك ، لتدبرت الأمر قليلا قبل الاقدام على مثل هذا العمل !

كلينوف : فى الواقع ، أنت دائما تحب تقليب الرأى على كل

وجوهه لتعرف ما له وما عليه . اليز قد سنحت لها الفرصة لتقدر هذا الجانب من أخلاقك .

فيـــديل : لقد كنت صادقا معها كل الصـــدق . وحتى لو كنت فى أشد الحاجة الى ارتكاب جريمة مثل جريمتك ، لما سمحت لى نفسى بذلك .

كلينوف : وتدعى انك تحبها ؟ مدهش ، أعاطفتك ضعيفة وسهلة القياد الى هذه الدرجة .

فيـــديل : أعرف جيدا أن عاطفتك تفوق فى قوتها عاطفة عامة البشر ! نعم ... وأعرف أيضا أن اللص أقوى رغبة فيما بيد غيره من الرجل الشريف ... هذا عذره أمام نفسه !

كلينوف : أنت تتصيد عذرا لى ؟ هذا ظريف منك . ولكن لا تجهد نفسك . ان أعمالى لا تهم سواى . احكم عليها كما تشاء . ان لك نفسا صالحة ونبيلة ، يا اريك ... صالحة لدرجة انك تسخط رافعا عينيك الى السماء حينما يتعدى غيرك تلك الحدود الضيقة لما يعتبره أصحاب التقاليد شرفا . أعرف هذا الوباء من الغيرة على الشرف ! الواحد منكم يحكم على الآخرين قياسا على « ما ليس فى امكانه هو أبدا أن يفعله » ؛ وهكذا تعمـرون الجحيم بالنفوس الكبيرة ... لتخلو الجنة لك ولأمثالك من العامة ... يوف ! عد الى عندما يتسع أفقك .

حينما تدرك حق الادراك ، من مزالق الاغراء التى تزل فيها قدماك أنت ، ماهية الضعف البشرى .. حينئذ قد يمكننا أن نتحدث ! ليس الآن .

فيــــديل : اننى وقد عرفتك الآن حق المعرفة ، ياجيرار ، أفهم مذهبك هذا فى التسامح والتحرر ... انها محاباة للنفس وليدة الأنانية . ومع كل ، فلم أكن أنا الذى أردت محادثتك . لقد طلبت الى اليز أن ترحل معى ، قبل رجوعك . وهكذا كنت أكون قد انتقمت على طريقتك ... عندما تعود فتجد عشك خاليا . ولكنها لم ترد . أرادت أن تسمع دفاعك .

الــــيز : جيرار ، لماذا خدعتنى ؟ ما الذى دفعك الى ذلك ؟ انى فى شدة الحيرة . لم أعد أعى شيئا ... كنت أرى فيك رجلا أسمى من الجميع ! والآن ، أرى نفسى مضطرة الى الاعتقاد انك قد ارتكبت نحوى اساءة بليغة ... وهذا ما يؤلمنى أشد ايلام . لماذا فعلت ذلك ؟

كلينوف : أنا لم أرد يوما ما أن يقدرنى الناس بأزيد مما أستحق . لقد قلت لك ذلك مرارا . يمكنك أن تحكمى على كما يعجبك . الحكم الذى ترتاح اليه نفسك . ان عقلك ، عقل المرأة الصغير ، فى حاجة الى جهد كبير ليفهمنى . زيادة على ذلك ...

فان مرافعة للدفاع عن عمل ممقوت كهذا ...
فى حاجة الى بعض الوقت ! وها أنا أراك ، وقد
تزينت أجمل زينة ، على تمام الاستعداد للحاق
بحبيبك اريك الى السماء ! اذهبى ، اذهبى .
لا تضيعى الوقت ! قد يندم أحدنا فجأة ...

فيــــديل : اسمعت ، يا أليز ... لقد فهم جـيرار أن من واجبه أن يرد اليك حريتك بمحض اختياره .

كلينوف : أنا ... أرد لها حريتها ؟ أنت ساذج ، ياعزيزى.

قيــــديل : لقد صرحت بذلك من لحظة . ولكن قد يكون ذلك دهاء وخداعا ... كباقى أقوالك .

كلينوف : يمكنها أن ترحـــل حينما تريد . أنا لا أمنعها . لكنها مرتبطة بى ... قانونا .

قيــــديل : وفى نيتك اساءة استعمال حقك هذا ؟

كلينوف : سمه اساءة استعمال ... اذا كان هذا يخفف من حنقك .

قيــــديل : أنت تتلذذ بهدمك لسعادتنا ... بأسرك أليز رغم ارادتها ... تريد أن تنتفع الى النهاية بنتيجـــة مؤامرتك .

كلينوف : (لا يجيب . يسير على مهل ، مفكرا وهو يصفر خافتا . ثم يقف أمام اليز) أوافق على منحك كامل حريتك ... على شرط واحد .

قيــــديل : وما هو ؟

كلينوف : (دون أن يرد على فيديل) أتوافقين على هـذا الشرط ، ياأليز ؟

اليـــز : أى شرط ، ياجيرار ؟

كلينوف : أوه ! شيء لا أهمية له . . . لا أطلب الا أن تخرجى من هنا بعد ساعة واحدة من انصراف اريك . عندى ما أقوله لك . . . على انفراد .

فيــديل : فهمت ! فحالما تنفرد بها ، تسنح لك الفرصة كى تغريها بالبقاء .

كلينوف : ألست واثقا من قوة تأثيرك على حبيبتك ؟ يخيل لى أن هذا شيء يؤسف له . حسنا ، ترويا فى الأمر . أنا لست متعجلا . ولكن هذا هو شرطى .

اليـــز : (مترددة) أود أن أسمع ما يريد أن يقوله لى جيرار . أتركنا وحدنا . . .

فيــديل : (بتأثر) لا تطلبى منى ذلك ! لا أجرؤ على تركك .

اليـــز : ولكن ما دام هو يحتـم ذلك ! بعـــد ساعة من انصرافك ، سألحق بك . قل لى أين أجدك .

فيــديل : كلا ، كلا ! سوف لا يكون الصراع عادلا .

اليـــز : ولكن سوف لا يكون هنالك صراع بيننا ، ما دام سيمنحنى حريتى .

فيــديل : سوف يثبط من همتك . حينما أرحل ستصيرين عزلاء أمام ارادته الوحشية .

اليـــز : لقد علمتنى الحياة كيف أدافع عن نفسى (وهى تنظر الى جـــيرار) حتى فى مواجهتـك أنت ،

ياجيرار ... أوه ! كل هذا مؤلم ، شديد الايلام ! يجب أن يوضع له حد (الى ڤيديل) لا تخش شيئا من تركى وجيدة . انتظرنى . سوف ألحق بك (وبصوت منخفض) لأنى أحبك .

كلينوف : أسمعت ؟ لا يوجد ما تخشاه . مسكين أنا ، كالطفل بلا درهم أمام الفطائر الشهية فى حانوت الحلوى . يقف مكتوف اليدين ، يتحلب ريقه حسرة عليها .

ڤيديل : سأنتظرك فى المحطة . أى انتظار قاس ، يا أليز ! ... ساعة ، ساعة فقط لا أزيد عليها دقيقة . عدينى بذلك .

اليز : أعدك .

(ڤيديل يتردد كأنه يريد أن يقول شيئا . لكنه يعدل ثم يخرج كلينوف يسير مفكرا برهة من الزمن . اليز تتبعه بعينيها) .

كلينوف : لم تنظرين الى هكذا ؟ أحرى بك أن تنظرى الى ساعتك . فقد تنسين الميعاد .

اليز : ماذا تريد أن تقول لى ، ياجيرار ؟

كلينوف : أسائل نفسى كيف أبدأ هذا المنظر الدرامى . أيجب أن أركع أمامك ، طالبا العفو مقسما على التوبة ؟

اليز : عيناك تنمان عن شدة الحزن ، ياجيرار ، وهذا ما يؤلمنى رؤيته .

كلينوف : آه ! أنت تشفقين على ؛ هذا ظريف . لكن لاشك أن حبيبك اريك لا يسره ذلك . فكرى مليا فيما فعلت ... فيأخذك الغضب . لقد سلبتك شهرين من السعادة المثملة ... شهرين معه فى الجنة ... بدل صحبتى التى لا تحتمل . ولو لم تمنعنى زيارته المفاجئة لبقيت مستمرا فى سلبى لسعادتك ... أشهرا ... سنة ... ربما أزيد ! لأبقيتك سجينة ، بعيدة عن الجميع ، مختفية فى بلاد مجهولة ، شريدة من مكان الى مكان لأحتفظ بك لنفسى ... ملكى ، ملكى ، متاعى ، جاريتى ... الى اليوم الذى حددت فيه موتى .

السيز : ولكن لماذا ، ياجيرار ... لماذا ؟ أممكن أنك أنت ...

كلينوف : (وهو ينظر اليها) أيتها الممثلة الصغيرة ، خل عنك !

السيز : ماذا تعنى ؟

كلينوف : (بعنف) أعنى أنك تكذبين .

السيز : اكذب ؟ ... ولكن فى أى شىء ؟

كلينوف : كيف ؟ أتريديننى أن أعتقد أنك أبدا لم تشعرى .. لم تفهمى ...

(يصمت ويسير فى الغرفة) .

السيز : تكلم اذن ، ياجيرار . ها أنا أصغى لأفهم ...

كلينوف : نعم . أيتها الكاذبة ! أنت لا تجرؤين على الاعتراف

بأنك كنت ترين ما كان يجول/في نفس . امرأة باردة قاسية القلب ! كنت ترين عذابى يزداد يوما بعد يوم ؛ وكنت أنت يافاقدة الشعور تلهبين هذا العذاب بما يظهر عليك من البراءة وعـــدم الفهم . سمنى آخر الجبناء لأنى لم أنتقم لنفسى من قسوتك ، لأنى لم آخذك بالقـــوة فأجعلك تقاسين نفس ما أقاسيه من عذاب .

الـــــيز : جيرار ، أبدا ... أبدا لم أرتب فى شىء من ذلك ! أقسم لك ...

كلينوف : أتتصورين أنى أصدقك ؟ قليــــل من الذاكرة ، يازنبقتى البيضاء ! تذكرى ماضيك ... هناك شىء يسمونه رغبة الرجل ! تذكرى أيضا ماذا حدث فى المرة الوحيدة التى أفصحت فيها عن عواطفى وبحثت شفتاى تطلب فمك . أظن انك لم تفهمى ذلك أيضا ، هيه ! وكذلك لم تفهمى معنى ذلك بالنسبة لى ... عندما قفزت كما لو كان قد لدغك ثعبان !

الـــــيز : حقيقة ... أذكر ... فى تلك الليلة ... شعرت فجأة بالخوف منك . أعرف انى كنت فى قبضتك ... لو كنت قد أسأت استعمال قوتك ، أنت أيضا ...

كلينوف : كان يجب أن أفعل ذلك .

السيز : أوه ! جيرار ... كم هو مؤلم كل هذا ! اذن لقد أسأت اليك ... اليك أنت الذى أنقذت حياتى ؟ كيف كان يخطر فى بالى أن ذلك فى الامكان ؟ أنت الذى لا تحمل فى نفسك للنساء سوى الاحتقار .. تحبنى ، أنا ، شيء لا يذكر بجانبك ؟ ما الذى يحببك فى ؟

كلينوف : هذا عجيب ، أليس كذلك ؟ أنت لا تؤلفين الكتب الفلسفية ، لا تلبسين عقود اللؤلؤ الجميلة ومع ذلك يمكن للانسان أن يحبك ... يالعبتى ، أنت واحدة من أولئك النساء اللائى يحببهن الرجال جميعا ، لأن فمك يشبه الفاكهة الناضجة تطلب أن تجنى ولأن عينيك منبع من منابع الحب والدموع (يقترب منها ويقول لها فى صوت ملؤه الاخلاص والتأثر والهيام) أحبك ياأليز ... أحبك أكثر مما يمكنك أن تتصورى . أحبك الى درجة الجنون ... ليس فى فكرى سوى غرض واحد : هو أنت . لا يحوى العالم بالنسبة لى سوى كائن واحد : هو أنت . مائة مرة ، أردت أن أزيح لك الستار عن عواطفى ، لكن الكلام كان يحتبس بين شفتى ... كنت أدرك الاشمئزاز الذى تثيره فى نفسك فكرة حبى . مستحيل عليك ، يافتاتى الصغيرة ، أن تنسى دمامتى الخلقية

وأن تجدى فى الرجل الذى أنا هو . ومع ذلك ، كنت أريدك ... كنت أريد ، مرة واحدة فى حياتى ، أن أنال ما كنت أتوق اليه دون أمل طول الحياة ، أن أجعله أقرب ما يمكن الى نفسى حتى يصير وكأنه جزء منى ... الشىء الوحيد الذى يمكنه أن يجعلنا نتحمل هذا العذاب الذى نسميه الحياة ، الشىء الذى تملكين كنوزه : وهو الجمال، يا أليز (يتمالك نفسه ويعود الى لهجته المعتادة ، لهجة السخرية) لم لا تنفجرين بالضحك ؟ أليس فيك أقل ميل الى الهزل ؟ ها أنا أشرح لك عاطفتى الملتهبة فى نفس اللحظة التى لا يشغل بالك فيها سوى الهرب مع رجل آخر . آه ! انى أحسدك . لا أحد يفهم أكثر منى شدة فرحك بهجرى ... بأنك سوف لا تكونين مرغمة على رؤيتى بعد الآن ! لو كان فى امكانى أن أتجرد من جسمى ، لألقيته بلذة ، كما يلقى الانسان كلبا ميتا ، فى القمامة ..

أليز : كل هذا يسبب لى ألما لا حد له . أنا أتركك لأحصل على السعادة التى تنتظرنى بينما تبقى أنت ، وحيدا ، مريضا ، وبلا أمل .

كلينوف : لحسن الحظ ، هذه الحال سوف لا تدوم طويلا .

أليز : (وهى تنظر اليه) ماذا تريد أن تقول ؟

كلينوف : أظن أن ما أريد أن أقوله واضح . اننا نملك على الأقل هذه الترضية البسيطة : وهى أن فى قدرتنا نحن أنفسنا أن نضع حدا لآلامنا حينما نريد .

السيز : (مرتاعة) جيرار ... أهذا تهديد ؟

كلينوف : كيف يكون تهديدا ؟ ان اللحظة التى تجتازين فيها عتبة هذا الباب ، هى آخر لحظة يرى فيها كل منا الآخر ، أليس كذلك ؟ هذا على الأقل ما تأملينه . اذن ، ماذا يؤثر عليك اذا كنت سأعيش أو أموت ؟

السيز : (شاحبة) تريد أن تقول انك ... انك ... تنوى أن ...

كلينوف : هذا مفهوم ! شيء منطقى . كيف أعيش يوما واحدا بعد رحيلك ؟ ان الرجل الذى يحرم النور والهواء يموت . وأنت لى الهواء الذى أستنشقه و ...

السيز : ولكن هذا ... هذا ... جيرار ، انك تريد أن تخيفنى !

كلينوف : المصيبة ليست كبيرة الى هذه الدرجة ، ياصغيرتى ، بضعة أشهر أزيد أو أقل . على كل حال ... عندما أصير أعمى ، سأتخلص من حياتى . فأنت ترين أنه سواء كان ذهابك أو ذهاب بصرى هو ما سوف يسبب موتى ، فهذا لا يغير الموقف كثيرا .

السـيز : (وهى تكاد تبكى) ولكن الانسان لا يمكنه أن يفعل ذلك ... هذا مستحيل ... هذا ... رباه ، ماذا أفعل ؟ آه ! أنت تعرفنى جيدا ، ولذلك فأنت واثق ... ان هذا يفوق طاقتى ... أوه ! جيرار ، قل أن ذلك ليس صحيحا . لا تدعنى أخرج من هنا تحت هذا العبء الثقيل ... ليس فى استطاعتى أن أحتمله . رد لى حريتى ! ليس من حقك أن تهددنى بمثل هذه القسوة بعد ما فعلته بى ... أليس كذلك ؟ أنت تريد أن تهددنى لتجبرنى على البقاء ... اعترف بذلك ! ولكن ، حينما أقول لك انه يجب أن أرحل ، لماذا تريد اذن أن تهدم كل سعادة لى ؟ ليس فى استطاعتى البقاء ، افهم ذلك جيدا ... يجب أن اذهب .

كلينوف : تقولين ، يجب ! ما الذى يضطرك اذا لم يكن محض ارادتك ؟ تأكدى أن حبيبك اريك شخص رزين جدا فسوف لا يلقى بنفسه يائسا تحت عجلات القطار .

السـيز : ليس هذا ما أخشاه . انه يحبنى كثيرا فلن تبلغ به القسوة مثل ما بلغت بك .

كلينوف : (وقد أمسكها فجأة من ذراعها) ماذا تقولين ؟ تقولين انه يحبك أكثر منى ؟ انت مخطئة ، أيتها

الطفلة الغبية ! أيجب اذن أن أصرح أمامك بالحقيقة كى تفهمى كل ما أقاسيه من بؤس عضال ؟ أنظرى الى . انى شحاذ يتضرع أمام غنى : أعطنى من فضلاتك ! ... شهرا واحدا فقط ... شهرين ... ثلاثة ! ما قيمة ثلاثة أشهر بالنسبة لحياتك الطويلة ؟ لا تحرمينى هبة النور الذى يشعه وجهك على عينى . وكل يوم أحياه بعد الآن سيكون هدية ثمينة من قلبك أقبلها شاكرا .

اليز : (وقد وضعت يديها على أذنيها) اسكت ... أسكت ... أى عذاب فظيع فى أن يكون الانسان مضطرا أن يؤذى غيره . كفى ... لا تكلمنى هكذا ... لا تتوسل الى . لا يمكننى البقاء . أعرف ذلك ، أشعر به ... سوف لا يغفر لى مطلقا اذا ما حنثت بوعدى .

كلينوف : اليز ، اذا كان يحبك ، سوف يغفر لك شفقتك بانسان يتعذب . اكتبى له أنك سوف تلحقين به ... بعد قليل ... بعد بضعة أشهر ...

اليز : كلا ، كلا ، لا أقدر . أوه ! لا تطلب منى ذلك ... يا الهى ، أعنى ... امنحنى القوة على المقاومة . جيرار ، انى أنا التى أتوسل اليك ... دعنى أرحل دون أن تهددنى ! فكر كم كانت حياتى تعيسة . والآن ، ها أنا أمسك بين يدى أقصى سعادة يمكن

لانسان أن يحصل عليها . لا تأباها على ... كن طيبا ... كن كريما ! أحبه ... اتركنى حرة ...

كلينوف : أنت لا تحبينه . ان الانسان يحب حينما يرضى الذلة ، كما أنا الآن ، حينما يشعر بشفتيه تحترقان من الخجل وهو يصيح بكلمات حب مضحكة لا يرجى منها أمل ، حينما يكون الانسان على استعداد لأن يقبل الشفقة والاحتقار ممن يحب ... لا لشيء الا ليحظى بالبقاء قريبا منه . اليز ، انى أموت اذا ما هجرتنى ؟ أتسمعين ؟ أتريدين موتى ؟ نعم ، لك حق ، هذا تهديد ... اصفحى عنى ... ان عذابى هو الذى يدفعنى الى تهديدك ، الى الركوع أمامك ... الى التوسل اليك ... (يركع على ركبته) ابقى ، ياأليز . لا تهجرينى طالما تسمح عيناى برؤياك ...

اليز : (وهى تنتحب) لا أقدر ... لا أقدر ...

كلينوف : بضعة أشهر فقط ، يااليز ... أنت مازلت صغيرة ... ابقى معى ... قولى انك تقبلين البقاء ... (اليز ترتمى على مقعد) ردى على ! افهمت مقدار تعاستى ؟ ألم تصب كلماتى موضع الرحمة من قلبك ؟ أترحلين ، يااليز ؟ ... أو تقدرين ... تودين البقاء ؟

اليز : (بصوت يكاد يكون غير مسموع) نعم ...

كلينوف : قلت نعم ؟ (اليز تشير بحركة ضعيفة من رأسها علامة القبول . كلينوف ينهض ، يريد أن يأخذ يدها ، لكنه عندما يرى تجهم وجهها وجموده ، يتركها قائلا فى شىء من الوجل :) شكرا ، يااليز .

الـيز : (وهى لم تسمعه) انه الآن فى انتظارى . . .

(فى الخارج ، تعود الموسيقى البعيدة الى عزف قطعة مرحة جذابة . كلينوف يقفل ببطء باب الشرفة فيصمت كل شىء) .

ستار





الفصل الثالث

مكتب الأستاذ كلينوف

ماري تقوم بالخدمة في الغرفة . يدخل كلينوف .
حركاته بطيئة ومترددة كحركات الأعمى .

ماري : صباح الخير ، سيدي الأستاذ .

كلينوف : صباح الخير ، ياماري (ينادي) اليز ! (الى ماري) أين السيدة ؟

ماري : لا تزال نائمة ، على ما أظن (كلينوف يذهب الى باب غرفة اليز ويتحسس الباب بيده باحثا عن المقبض ، لكنه يعدل عن رأيه ويعود) قد يكون

الباب مقفلا بالمفتاح ... كالمعتـــاد (كلينوف لا يجيب بشيء . يجلس الى مكتبه واضعا راسه بين يديه) لا أخال السيدة تتعب نفسها في شيء ... الساعة قد جاوزت التاسعة والنصف .

كلينوف : كفى عن هذه الضوضاء ... حسبك هذا اليوم..

مـــارى : (وقد آلمتها كلمته) كما يريد سيدى الأستاذ ... (تجمع أدوات الكنس والمسح) ... ولكنى كنت أود أن أرى مآل هذا المنزل لو لم أتكفل أنا بالخدمة فى كل شيء وفى كل مكان . على الأقل ، هل رأيى فى محله ؟ هل أكون على صواب اذا ما قلت : عندما يصير المعوزون أســـيادا ، من أول يوم يظنون أنفسهم أمراء أبناء أمراء .

كلينوف : حاذرى مما تقولين ، يامارى . قد لا أكون اليوم على استعداد لسماع سخافاتك .

مـــارى : ولكنى لن أطبق فمى بعد الآن ! لقد احتفظت بما فى نفسى زمنا طويلا . ان ما يدور هنا مخز ... مخز ! أن سيدى الذى كان ينبغى أن يعنى به ، أن يساعد ، أن يلاطف بكل ما هو جدير به من عطف وصبر ... حتى يكون له فى ذلك شيء من العزاء فى مصابه الكبير الأليم ... يلقى مثل هذه المعاملة العجيبة ! هى التى كان يجب أن تخـــر ساجدة عرفانا بجميل سيدى الأستاذ الذى منحها

سعادة لا تقدر بأن جعل منها زوجة شرعية له ..
أنظر بأى سحنة تسير هنا فى المنزل ! أوه ! ان ذلك
يثير أعصابى ، مؤكد !

كلينوف : ماري ، حاذرى ! اذا نسيت مرة أخرى الاحترام
الواجب عليك للسيدة ، فقد أنسى أنا خدماتك
وأطلب اليك البحث عن أسياد آخرين لا يثيرون
أعصابك الرقيقة .

مــارى : حسنا ! اطردنى ! أعرف جيدا أنها ستنتهى بالفوز
فى ذلك أيضا . لقد كانت ماهرة جدا فى قيادتك
الى ... النهاية ، الى ما حصل . هذه الخدعة
التى كانت تدبرها من وراء ظهرى ... ان هذا
هو ما لا يمكننى أن أغتفره لها . تدبر شيئا من
هذا القبيل ... دون أن يكون عندى أقل فكرة ..
أنا التى اعتنيت بها كأم ! ومع ذلك فلو كانت
أخلاقها الآن مرضية ... ربما لم أكن لأقول شيئا
... ولكن أنا التى أفعل كل ما يمكن فى العـالم
لتخفيف شقاء سيدى ... يغيظنى أن أرى
ما يتحمله سيدى من أجل فتاة مثل هذه !

كلينوف : (بشدة) اغربى عن وجهى ... وسريعا ... لقد
تحملت ما يكفى من لهجتك الخالية من الاحترام .

مــارى : سأذهب ، سأذهب . لست فى حاجة لأن تكرر
على مرتين انك لا تريدنى . وأقسـم لسيدى

الأستاذ انى لا أحمل له فى نفسى أى موجده . كل الناس معرضون للخطأ ... حتى سيدى الأستاذ. وليس على سيدى الا أن يشير الى فأعود الى خدمته حينما يدرك مقدار احتياجه الى . سيكون ذلك أسرع بكثير مما يظن سيدى الأستاذ ... أريد أن أقول ... انه اذا أتى اليوم الذى تكون فيه السيدة قد ... آه ! كلا ، الأفضل أن لا أتكلم فى هذا الموضوع .

كلينوف : (مقطبا) عن أى شىء تلمحين ؟

مــــارى : لا شىء ، لا شىء !

كلينوف : (غاضبا) ألا تريدين أن تتكلمى ! انه ليزعجنى لهجـــة البوابين التى تلمحين بها عن أشـــياء لا تجسرين على التصريح بها .

مــــارى : (متألمة جدا) لا أجسر ! أنا ! ومم أخاف ؟ على العكس ، انه ليسرنى أن أقول ما عندى ! أنا امرأة تحب الأشياء نظيفة ، وهذا ما يكاد يحـــرق شفتى ... لأن ما أعرفه يثير نفسى ! ... ان سيدى شخص أرفع بكثير من أن يتحمل ما يُجرى هنا ... انها تكتب رسائل تخفيها عن سيدى الأستاذ . منذ مدة تولدت فى نفسى الشكوك . والبارحة ، عندما عاد سيدى من الجامعة مبكرا عن عادته ، كانت على استعداد للخروج ، ولكنها

بقيت مع سيدى . ولذلك فقد أتت الى فى المطبخ وهى تلهث قائلة وقد أعطتنى خطابا : « ضعيه سريعا فى صـــندوق البريد ، ولا يجب أن يعلم السـيد به (كلينوف لا يجيب بشىء . مارى ، وقد ضايقها أنها لم تجد لكلامها التأثير الذى كانت تأمله ، تستمر فى الكلام :) وكذلك ... فى كل مرة أحضر البريد لسيدى ، تسرع هى كالمجنونة لترى ما اذا كان هنالك شيء لها (كلينوف مستمرا فى صمته) ... طبعا قرأت البارحة فوق الظرف لمن كان الخطاب .. واذا أراد سيدى أن يعرف..

كلينوف : مارى ، قولى لى ... أأنت تبيعين ثقة سيدتك لتشترى بها عرفانى لجميلك ؟ أم هو اباؤك الصادق الذى يدفعك للكلام ؟

مـــارى : كيف ؟ لا أفهم ...

كلينوف : آه ! هذا مهم جدا ! ان أساس الأشياء دائما جد غريب . فكرى وأنت ترين ... أهو اباء أم سعى وراء منفعة ؟

مـــارى : (ثائرة) منفعة ... أى منفعة ؟ هـــذا كثير أن تقوله لى ، أنا التى لا أفكر فى شيء سوى صالح سيدى وشرف سيدى ...

كلينوف : ومع ذلك وضعت الرسالة فى صندوق البريد ؟..

مـــارى : طبعا ، لأن ... (تسكت) .

كلينوف : لأن ... ؟

مـــاري : (مرتبكة) لم أكن أفكر فى تلك اللحظة أن . . .

كلينوف : (مقاطعا) لأنك فى تلك اللحظة فضلت أن تنالى شكر سيدتك بخيانتى ، وبعد ذلك تنالين شكرى بخيانتها .

مـــاري : (وهى تبكى) لم يسبق لأحد أبدا أن خاطبنى بهذه اللهجة ، خيانة ! أيقال لى هذا بعد تفانىّ فى خدمتك ! . . .

كلينوف : أرأيت كم قد يكون أساس الأشياء غريبا ؟ . . . انه غالبا من لون آخر مختلف كل الاختلاف عن لون السطح ، هيـــه ؟ . . . لا تبك ، ياعزيزتى مارى . أنت تتكلمين وتفعلين تماما كما تفعل كل خادمة طيبة منذ عهد المسيح . تقلق . . . دون قصد سيء . هذا هو رأيى فيك . ولذلك سأعطيك شهادة توصية طيبة عندما تبرحين المنزل ، الآن.

مـــاري : (تنتحب) اذن ، هذا جدى ؟ السيد يطردنى . . . بعد كل هذه السنين . . . وكل هـــذا . . . العطف ؟

كلينوف : أجل . انى خائف منك . منذ أن فقدت بصرى ، صارت أذنى حساسة الى درجة فظيعة ، وأنت تثرثرين كثيرا . الجهل السـعيد هو التعويض الذى تدفعه السماء لعينين مغمضتين الى الأبد ! تذكرى ذلك .

اليـــــز : (تدخل) صباح الخير ، ياجيرار . ماذا حدث ؟ لم تبكى مارى ؟

كلينوف : مارى لا تريد أن تبقى معنا بعد الآن .

اليـــــز : حقا ، يامارى ؟ وهل ذلك بسببى أنا ؟

كلينوف : انها تقلقنى . فى هذا السكون الذى أراه ، تحدث ضوضاء شديدة .

اليـــــز : اذن أنت الذى تريد أن تخرجها ؟

مـــارى : (بشدة) كلا . أنا التى أريد أن أخرج . لقـد بلغت سنا لا يسمح لى بـ . . . بـ . . . بأن أشتغل على هذا النحو .

اليـــــز : ان هذا يؤسفنى . ماذا سيفعل جيرار من غيرك ؟ أنت الشخص الوحيد الذى يعرف جيدا ما هو متعود عليه . أترضين البقاء ، اذا ما سألتك أنا ذلك ؟

مـــارى : أوه ! سيدى الأســـتاذ ليس كثير الطلبات ! اذا كانت السيدة يهمها حقا أن تعنى به قليلا . . .

اليـــــز : أرجوك أن تبقى ، يامارى ، سوف يأسف كثيرا على خروجك .

مـــارى : (مرتبكة) ولكن . . . ولكن . . . سيدى كان يقول منذ لحظة . . . انى أسبب ضوضاء شديدة !

كلينوف : (هازا كتفيه) ما دامت السيدة تريد ذلك .

مـــارى : (شديدة الخجل فى مواجهة اليز) فى الحقيقة ،

انا لا أفهم لماذا تريد السيدة بقائى ، مع انى طول الوقت أبدى عنها ملاحظات غير ودية .

الـــــيز : لكن قلبك طيب ، ياماري . لن أنسى الرقة التى استقبلتني بها عندما قادني السيد الى هنا ، تعيسة بائسة .

مـــارى : (وقد تأثرت من بساطة اليز ، تعاود أخذ أدواتها) حسنا ... أشكرك ياسيدتى ... اذن ... قد يمكننا مرة أخرى أن نجرب قليلا ... (تخرج)

كلينوف : (بصوت رقيق) صباح الخير ، ياأليز .

الـــــيز : صباح الخير .

كلينوف : (يقترب منها) هات يدك (اليز تمد يدها اليه ، فيقبلها) صباح الخير ، يا ألذ أفكارى ! ... ألا أنتظر ضغطه خفيفة ودية من أصابعك ! لا ؟ هذا لن يكون ؟ دائما تلك اليد التي لا حياة فيها .. (يهز كتفيه ويترك يد اليز) أنمت جيدا ؟

الـــــيز : وأنت ؟

كلينوف : شكرا . كالمعتاد .

الـــــيز : أمعنى ذلك انك نمت جيدا أم العكس ؟

كلينوف : ولم تسألينني ؟ ماذا يهمك نمت أم لم أنم ؟

الـــــيز : لقد وجهت الىّ أنت السؤال نفسه .

كلينوف : ربما كانت راحتك تهمني أكثر ...

الـــــيز : تعتقد ذلك ؟ ...

كلينوف : (يتمشى برهة وهو يصفر خفيفا ، مشية بطيئة وفى حذر) أهنئك على أنك لا تنسين مطلقا اقفال باب غرفة نومك بالمفتاح .

الـــــيز : ولم تقول ذلك ؟

كلينوف : لأنك تجعليننى سخرية فى نظر خدمى .

الـــــيز : اذن ، سوف لا أفعل ذلك بعد الآن (وهى تنظر اليه) لا سيما وان هذا لا ضرورة له .

كلينوف : أشكر لك ثقتك ... انها تغمرنى .

الـــــيز : تقول ذلك بلهجة شديدة المرارة حتى أنى ...

كلينوف : حتى أنك ... ماذا ؟

الـــــيز : لم يكن موضوع بحث مطلقا ، ياجيرار ... أن نكون على غير ما نحن عليه الآن .

كلينوف : (يضحك بحنق) لم يكن موضوع بحث مطلقا ... مطلقا ... وأنت ، التى تذرف عيناها الدموع لدى رؤية دجاجة تذبح ، تشاهدين دون أقل اهتمام .. ما أقاسيه من عذاب .

الـــــيز : ان الفاجعة التى أصابتك تسبب لى ألما شديدا . لقد أثبت ذلك .

كلينوف : أنا لا أتكلم عن هذا . أنا أتكلم عنك أنت .

الـــــيز : اذا كنت أنا من يعذبك ... فلماذا اذن تريد أن أبقى ؟ ان وجودى هنا والحالة هذه لا يكون فيه نفع لأحد .

كلينوف : واقصى أمانيك أن تريحينى ، أليس كذلك ؟ هذا ما يرى بوضوح حين تتجولين فى منزلى ، خرساء جامدة ... (فجأة يفقد تمالك شعوره) انك تسببين لى الجنون ... الجنون ... اصرخى ! احتدى ! اسخطى ! ... فهذا أفضل بكثير من صمتك الذى يمزق نفسى !

الـــــيز : ليس عندى ما أقوله لك . لقد قلت كل شىء . أنت تعرف أفكارى .

كلينوف : حقيقة ، وعواطفك أيضا ! أنك ترتجفين اشمئزازا لدى رؤيتى ؛ كل كلمة من كلماتى ، كل حركة من حركاتى تثير اعصابك نفورا واحتقــــارا ؛ اذا ما أخذت يدك ، تتغلبين بكل صعوبة على رغبتك فى أن تنشبى أظافرك فى لحمى ! أصابعى ، أصابع الأعمى ، تحرك كرهك ومقتك ... وأنا ، فراش الليل المسكين ، ذلك الفراش الثقيل المتخبط ، الذى ظل طويلا يحوم حول نور جمالك الزاهى .. أتهافت بجهل على اللهب حتى أسقط ، واحترق، تحت قدميك (يعود الى لهجته الساخرة) آه ! أى عبارات منمقة ! ... والقاء حسن ، يستحق تشجيع النظارة . هل أصبت شيئا من النجاح ؟ هل لجمهورى أن يشرفنى برحمته على الأقل ؟

الـــــيز : ان نفسى تنقبض دائما اذا ما رأيت أحدا يتألم .

كلينوف : كيف ؟ أحملت هذا المزاح على محمل الجد ؟ أنا أمنعك من الرثاء لى . احسدينى ! انى أنا السعيد. أنا أنعم بخيالات بديعة ! قبح الحقائق لم يعد له تأثير على . لقد صرت شـــاعرا ، يا اليز . انى أمتص بشراهة ما حولى من تأثيرات خارجية . . . أحزرها ... وأستخرج منها خفيَـــة صـــورا فاخرة . أنت ، أراك فى كل مكان . وفى كل مكان تصحبيننى وعلى فمك ابتسامة عذبة . ألا ترين أنى ســعيد ؟ أنى أرى شـــعرك الحريرى ... عينيك ، هاتين اليـــاقوتتين ... بشرتك التى تشبه زهر التفاح ، تقاطيع جسمك المنحـــوت كالمرمر . أنت آخر شىء حى رأته عيناى . وقد أردت أن تكونى آخر ما أراه . ان البخيل يود أن يأخذ ثروته معه الى القبر ! .. أوه ! يا أحلامى الجميلة ... كم أحبك ! اطردى الحقيقة . قولى لى على الأقل ان حبيبتى ليست واقفة الآن ، أمامى ، عيناها تلمعان ، وخداها قد خضبهما الاحمرار وهى تفكر فيه ... الشاب الجميل ، ذو الشعر المجعد ، صنمها (يقترب منها ممسكا ذراعها) أليز ، فيم تفكرين فى هـــذه اللحظة ؟ أتفكرين فيه ؟ أتتصورينه الآن يحتضنك بشغف؟ وشفتاك قد تلاشتا فى قبلة مثملة ؟

الـــــيز : (وهى تتخلص منه) دعنى ياجيرار ...

كلينوف : أجيبينى ! قولى لا ، قولى انك لا تفكرين فيه ! اكذبى ... هذا لا يهمنى . ولكن قولى لا (اليز لا تجيب) لا تجيبين ؟ آه ! أيتها الصغيرة القاسية! أشكرك على صراحتك (يسير فى الغرفة ، ثم يقف فجأة هازا قبضتى يديه بهيـــاج) كلما أفكر فى غباوتى ، فى انى تركته يطأ بقدميه عتبة منزلى .. وأنى لم أفطن الى أن هذا الوجه الوضاء لذلك الفنان الصغير البسيط يغوى لا محالة عقلا صغيرا كعقلك ! لماذا فعلت ذلك ؟ هذا غريب ؟ أكنت قد نسيت كل النسيان ريبتى فى النساء ؟ ... آه ! لقد عوقبت أشـــد العقاب ! أنا ، أنا ، كانت لى أوهام كتلاميذ المدارس ! ... عندما أفكر فى ذلك أضحك كالمعتوه : كنت أتصور أن فى امكانى أن أفهمك يوما أن قيمة الرجل هى فكره ، أن جهاده منفردا أمام تلك الأمواج المتلاطمة من الحمـــاقة الانسانية شىء جدير بالحب والمشاركة ! كنت أحلم بذلك ، أنا ! انها ليست غلطتك ، أيتهـــا الحيوان الصغير ، اذا ما فضلت جسم رجـــل لا ميزة فيه الا رشاقته . شابة مثلك لا تفرط فى كنوزها ... لانسان محطم ... لميت (يضرب رأسه بقبضتيه) ... لمدفون حى ! هاتان العينان

الميتتان ، أود أن أنتزعهما من حفرتيهما ... أود أن أحطم على الحائط هذا الرأس التعس ! ردوا لى النور ... هذا الظلام الأبدى ... لم يعد فى طاقتى أن أحتمله . أريد أن أراك ، يا اليز ... أريد أن أراك مرة أخرى ... أريد ... أريد .

(يلقى بنفسه على المقعد ، مخفيا وجهه بيديه) .

اليز : (تقترب منه وتربت على ذراعه لتهدئه) من المؤلم يا جيرار ، انى لا أعرف ما أقول مما يمكن أن يعزيك ... لا أجد الكلمات ... تعاستك تفوق الحد ... انى أتألم من أجلك .

كلينوف : (وهو يقبل ويداعب يدها) شكرا ، ياملاكى الصغير . أنت رقيقة وطيبة ... دعينى أقبل يدك ! تحملى ذلك ... لحسن الحظ ، لا يمكننى أن أرى كيف ينقبض الآن فمك اشمئزازا (يترك يد اليز ، ينهض ويبقى برهة بلا حراك ، ضاغطا بيديه على عينيه) أخيرا ... هيا الى العمل ! أعدى الأوراق . لم أتم محاضرتى التى سألقيها اليوم . نبدأ من حيث وقفنا أمس ... رسالة « اللامسئولية » ... (اليز تجلس الى المكتب لتكتب . كلينوف يملى عليها) ... « ان غرور الانسان فى تصوره انه هو نفسه المسيطر على أفعاله ، هذا الغرور السخيف هو ما يقلق النفس

البشرية ويفسد منطق قوانيننا الاجتماعية . ان تركيب مخ الانسان ، وتركيب المخ فقط ، هو ما يسير دفة أفعالنا . بناء على ذلك ، لا يوجد شيء اسمه جريمة . فكرة العقاب خطأ من أساسها . لماذا لا يعاقب الرجل لأنه ذو شعر أسود أو أشقر ؟ العنكب الذى يمتص دم بعوضة لا يرتكب ثمة جريمة ... كل ذلك من نظم الطبيعة » .

السيز : (توقفه) محاضرة شديدة الخطر على صغار الطلبة ، فيما يبدو لى .

كلينوف : أى خطر ؟ ... ما دامت أفعالنا تقررها من قبل طبيعتنا . ان كلا منا يتبع طريقه ... كذلك من ينعتونهم بالمجرمين .

السيز : (مفكرة) قد يكون هذا حقا . ومع ذلك ... فمن يسيء الى غيره ولا دافع له فى ذلك سوى الأنانية لا يجب أن يكون له هذا العذر ... .

كلينوف : ولم لا ؟ قد يكون لهؤلاء طبيعة أقوى ، ارادة أكثر صلابة ، شهوات أشد عنفا من الآخرين ... ومن ثم يكون لهم حق أسمى !

السيز : (بشدة) من السهل عليهم أن يقولوا ذلك .

كلينوف : هذا منطقى . انه قانون الكون نفسه . كله تنازع بين الأقوى والأضعف .

السيز : اذن فليس هنالك أى انصاف للضعفاء ؟

كلينوف : للضعفاء ، حينما يغلبون على أمرهم ، أن يتعزوا قليلا باعتقادهم أنهم ما ضعفوا الا كرما منهم أو شفقة ...

السيز : اذن أنت ترى أن الشفقة ضعف ؟

كلينوف : وأى ضعف !

السيز : (تقوم بعنف) ومع ذلك ، قد أسأت استعمال شفقتى .

كلينوف : يجب على الأقوى أن يعرف موضع الضعف من خصمه ... حتى يتغلب عليه (مضيفا الى ذلك بسرعة) ياصغيرتى ، أنا أقول ذلك اليوم ... وغدا ، آسف عليه . غدا ، تصير الشفقة ولا شك عاطفة سماوية . أشعر أن عينيك تلمعان غيظا .. لا شك أن ذلك يجعل منظرك بديعا . وهذا يجردنى من القوة على معارضتك .

مارى : (تدخل) العربة فى انتظار سيدى .

كلينوف : حسنا ، ها أنا قادم .

مارى : (وهى خارجة) أنا هنا لمساعدة سيدى فى النزول .

كلينوف : الى الملتقى ، ياحبيبتى الوديعة . أمامك ساعة تستريحين فيها من جلادك . الى الملتقى .

السيز : الى الملتقى ، ياجيرار .

(يذهب الى الباب . لكنه يعود نحوها) .

كلينوف : ما الذى ستفعلينه الآن ؟ تبقين مكانك ضـامة يديك ... لتفكرى فيه ؟

الـيز : سأكتب .

كلينوف : تكتبين ؟ تكتبين ماذا ؟

الـيز : سأبيض محاضرة الأمس ، كما طلبت منى .

كلينوف : أأنت واثقة أنك سوف لا تكتبين خطابات ؟

الـيز : لماذا تسألنى عن ذلك ؟

كلينوف : أى خطاب هذا الذى وضعته لك مارى ، بالأمس، فى صندوق البريد ؟

الـيز : آه ! لقد اخبرتك بذلك ؟

كلينوف : لمن كان هذا الخطاب ؟

الـيز : (رافعة رأسها) له ... هو !

كلينوف : اذن ، قد كذبت على ! فى ذلك اليوم ، عنـدما سألتك ...

الـيز : لقد أجبتك انه لم يكتب لى ... وهـذه هى الحقيقة .

كلينوف : أنت اذن التى تكتبين له ؟ تضرعين اليه أن يغفر لك ؟ وتشـاء مهارته الا يجيبـك ؟ فتتقـدمين أنت خطوة فخطوة . تعدينه بكل شىء حتى يغفر لك .. تعدينه بأنك ... اليز ، أين أنت ؟ تعالى هنا ... (يقترب منها بخطواته المترددة ويمسك ذراعها

بغلظة) أوعدته برؤيتك ؟ أتنتظرينه ؟ أجيبى . أريد أن أعرف .

السيز : كلا .

كلينوف : ان ساعات عملى فى الجامعة تصلح جدا للمقابلات الغرامية ! أليس كذلك ؟ حذار ... سوف أعرف. انه لم يأت بعد ... لكنه اذا حضر ، سوف أشم ذلك !

السيز : (بقوة غير منتظرة) أنا لم أعدك قط بعدم رؤيته. أريد أن أراه ! أريد أن أفسر له لماذا ...

كلينوف : (بعنف) انى أمنعك ! أتسمعين ؟ ... ما دمت فى منزلى ، فأنا أمنعك من رؤيته . أفهمت ؟ أنت تعلمين انى لا أحجزك هنا لقد رددت لك حريتك . وأنت التى امتنعت عن الرحيل .

السيز : تجرؤ أن تقول انك رددت لى حريتى ؟ آه ! نعم .. مع تهديدى !

كلينوف : تركت لك حرية الاختيار . هـذا يكفى . وقد اخترت . اذا كنت آسفة ، يمكنك أن تغـيرى قرارك وقتما تشائين ... لقد قلت لك ذلك . ولكن ، طالما أنت هنا ، فأنا السيد ... وحاذرى من العمل ضد ارادتى !

السيز : أنت تفعل كل ما يمكنك ، ياجيرار ، لكى آسـف على اختيارى .

كلينوف : الى الملتقى (يخرج) .

السيز : (تبقى لحظة صامتة ، ثم تتجه الى الباب وتنادى) مارى ...

مارى : (داخلة) ماذا تريد السيدة ؟

السيز : مارى ، لماذا حدثت سيدك عن ... عن خطاب أمس ؟

مارى : (شديدة الارتباك ، لكنها تتشجع قائلة) أردت أن يعرف سيدى .

السيز : ولكنى كنت قد رجوتك ألا تخبريه بشىء ووعدتنى أنت بذلك .

مارى : البارحة ، لم أكن قد عرفت بعد ... أن ... ان ... هذا أكثر مما يمكننى احتماله . كان من واجبى أن أقول .

السيز : لكم تغيرت ، يامارى ! لماذا تودين الآن ان تسيئى الى دائما ؟ أنت التى كنت من قبل أحنى ما يكون علىّ .

مارى : هذه حقيقة . لم أعد طيبه . انى أحسد السيدة ، وهذا هو السبب .

السيز : ولماذا ؟

مارى : لأن ... لأن ...

السيز : لأن سيدك تزوج منى ، أليس كذلك ؟

مـــارى : لا أدرى ... نعم ... قد يكون من أجل ذلك أيضـــا ...

الســـيز : (وهى تنظر اليها) أكنت ياماري تفكرين فى ... شيء آخر !

مـــارى : ماذا تعنى سيدتى ؟

الســـيز : هل هدمت لك ... أملا ؟

مـــارى : بهاتين اليدين ! ... (تظهر يديها الضـــخمتين المحمرتين) انظرى قليلا ، أظنني لائقة جدا كى أصير السيدة هنا ! أمل ! ... من ينتظر ذلك ؟ انى أقوم بواجبى وهذا كل شيء . منـــذ أمد بعيد أخذت على نفسى عهدا ألا أترك أبدا سيدى .. الرجل المسكين ! لقد رأيت أخاه الذى كان أعمى ، هو الآخر ... وكنت واثقة أن تلك المصـــيبة الرهيبة سوف تنزل يوما ما بسيدى . اذ كانت له نفس عينى أخيه ، شديدتى الاحمرار ... ونفس طريقته فى النظر وكثرة اختلاج الجفنين . كنت أتظاهر أمامه أنى لا أعتقد بأن تلك المصيبة سوف تحل به ، ولكنى كنت أتوقعها طول الوقت ... الرجل العزيز المسكين .

الســـيز : كان يكون أقل تعاسة معك ، ياماري .

مـــارى : هذا مؤكد ... من جهة العناية . كان يجب على السيدة أن تفكر فى ذلك فى الوقت المناسب .

السيز : أنت تعتقدين انى كنت أرغب فى هذا الزواج ، أليس كذلك ؟ وبدهاء المرأة توصلت اليه . هذا بعيد عن الحقيقة ، ياماري . لافائدة من أن أفضى اليك بكل ما حدث ؛ اعلمى فقط انى قد دفعت الى هذا الزواج رغما عنى ، لأنى ... كنت أحب آخر ... ويحبنى (وهى تتأوه) ماري ... أحبه الى درجة أنى أموت الآن من الحزن ! ... وهو لم يعد يحبنى . لقد خنت عهدى ؛ هو يعتقد انى غير مخلصة وجبانة ... لأن سيدك يرغمنى على البقاء معه .

ماري : يرغمك ؟ ..

السيز : لا يمكننى أن أفسر لك ياماري ... ولكن هذه هى الحقيقة .

ماري : اذن ... هو السيد ڤيديل ؟ بما أن الخطاب ، كان له .

السيز : انه لا يريد أن يجيبنى . فقد خيبت أمله كثيرا . كتبت له عشر مرات ... البارحة ، رجوته أن يأتى الى هنا ، ياماري !

ماري : (بشدة) هنا ! ... آه ! ... هذا لا أريد مطلقا أن أعرفه !

السيز : سوف لا يكون هنالك أى خطر ، بينما سيدك يلقى

محاضرته ... ليس فى امكانه أن يفاجئنا ، ما دمنا نعرف ساعات عمله ...

مـــارى : (وهى تريد أن تخرج) كلا ، كلا ، لا تقولى لى شيئا . لا أريد أن أعرف شيئا عن ذلك .

الـــيز : يجب أن تستمعى لى ... يجب عليك ذلك من أجل ... سيدك . مارى ، اذا لم يصلنى منه رد على خطابى الأخير ... اذن ، يكون معنى ذلك انى لم أعرف كيف أشرح له ألمى . يجب أن يفهم أنى هنا سجينة ... انى أبكى ، أنى أموت ، انى طول الليل والنهار لا أفكر الا فيه .

مـــارى : (متأثرة) حقيقـــة ، ظاهـــر عليك الشحوب ، يا صغيرتى اليز ...

الـــيز : (متوسلة اليهـــا) قولى له ذلك ... قولى له ذلك ! ... اذهبى اليه لتقولى له ذلك !

مـــارى : أنا ... ؟ لكن هذا محض جنون ، ياطفلتى ! أنا ، أذهب اليه ... وسيدى ؟ اذا علم بذلك يوما ؟

الـــيز : انك تأتين بذلك حسنة ! لم أعد أحتمل ، لم أعد أطيق هذه الحياة . واذا رفضت ، ياماري ... سأذهب أنا بنفسى . ولكن ، فى هـــذه الحالة ، أخشى ألا أعود ثانية الى هنا .

مـــارى : (متحيرة) ربّاه ، يظهر ان المسألة جدية ...

الـــيز : الجرس يدق !

مــــارى : ها أنا ذاهبة لأفتح .

الـــــيز : (فى شدة الاضطراب) مارى ، اذا كان هو ... راقبى من النافذة حتى اذا ...

مــــارى : (تخرج وهى تهز رأسها . تعود سريعا) أنه ... انه ...

فورسبرج : (يدخل وراء مارى ؛ يدفعها الى جنب) انه أنا ! (وبرقة يمسك الباب مفتوحا لمارى) أتسمح الآنسة ... أن تتركنا وحدنا ...

مــــارى : (لأليز) أتريد سيدتى أن أبقى بالقرب منها ؟

الـــــيز : (لفورسبرج ، وقد ارتسم على وجهها خيبة الأمل والخوف فى الوقت نفسه) أنت ... أنت ؟ (لمارى) كلا . يمكنك أن تذهبى .

(مارى تخرج)

فورسبرج : صباح الخير ، يابنتى العزيزة . معـــذرة على اقتحامى المنزل بغير استئذان ، ولكنى ، من باب الاحترام لك أنت ، لم أرد أن يبقى أبوك فى الخارج كما لو كان طالب حاجة لدى صاحبة السمو .

الـــــيز : أتجرؤ ... على المجىء الى هنا .

فورسبرج : يظهر ذلك . ولكن يبـدو أن المفاجـــأة جعلت استقبالك لى اقلّ حفاوة مما كنت أنتظر بعـد هذا الفراق الطويل المؤلم ...

الـــــيز : ماذا تريد ؟

فورسبرج : لا شيء سوى أن أحظى بأن أقول لك صباح الخير . ثم أهنئك على الخطة البديعة التى سرت عليها . يااللمرأة ! كلهن سواء ! حتى تلك التى تظهر لك وديعة كالحمل ، لها منقار ومخالب .

السـيز : أتريد محادثتى أنا ... أم ... محادثة السيد كلينوف ؟

فورسبرج : (ينحنى أمامها باحترام زائد) ما دام زوج السيدة المحترم ليس فى المنزل ، فأكون سعيدا بمحادثة صاحبة السمو نفسها (ينظر اليها ويرجع خطوة الى الوراء) ما أبهاك ، يابنيتى ! أنا معجب بك ! لقد اكتسبت هيئة أميرة حقيقية يجرى فى عروقها دم الأمراء . صراحة ، من يدرى ... يجوز ... بفضل قلب السيدة أمك الرحب ...

السـيز : (بشدة) لا تتكلم بغير احترام عن أمى ... والا تركتك فى الحال .

فورسبرج : سمعا وطاعة ، ياحوريتى الصغيرة . لنقل ، كى يدخل السرور الى نفسك ، انك قد ورثت هذه الهيئة الوجيهة عنى أنا !

السـيز : ماذا تريد منى ؟ تكلم سريعا . ان نفسى تنقبض لرؤياك .

فورسبرج : اريد مبلغا ضئيلا جدا من النقود ، اذا كان ذلك فى الامكان .

السيز : وجه طلبك الى السيد كلينوف ، ليس عندى ما أعطيه لك .

(تهم بالخروج)

فورسبرج : كلا ، كلا ! لا تتركينى وحدى . حذار يابنتى ! ها هى ساعة لا بأس بها مطلقا ، تساوى ثمانمائة فرنك فى السوق . وأيضا بعض نسخ خاصة من كتب جيرار كلينوف . صفقة مغرية ، لو تعلمين ، لرجل جائع . اليز ، فتشى جيداً فى كيسك الصغير ، لا شك أنه توجد بعض أوراق مالية مختفية بين رسالتى غرام ! ياللشيطان ! آمل ألا تكونى والهة بجمال فيلسوفك الفتان ، مجانا ؟ (بصوت رفعت فيه الكلفة) آه ! من الصغيرة الخداعة ! ... التى كانت تصرخ فزعا حينما كانت عند أبيها ! ... وعندما استقلت بنفسها ، صارت أقل أنفة .

السيز : (بحدة) لا تحدثنى عن الماضى . فقد لا أتمالك من أن أصفعك على وجهك . كل ما قاسيته ... كل ما لازلت أقاسيه ، هو بسببك أنت .

فورسبرج : انى فخور بأن أكون أنا الممهد لهذا الطريق البديع الذى سلكته ؛ اشكرينى ، ياطفلتى ؛ عرفان الجميل عاطفة لا يجب مطلقا أن يخجل الانسان منها .

اليز : أشكرك على ما أنا فيه من سعادة . ها أنا ألبس ثوبا جميلا وخواتم فى أصابعى . أنظر الى جيدا : لابد وأن السرور يلمع فى عينى ! آه ! لقد أحسنت بمجيئك الآن . ربما خفف عن قلبى أن أصرخ فى وجهك بكرهى لك ! تقول انى لست ابنتك ! اذا كان هذا حقا ، فأنا اقدر هذا الجميل لأمى تقديرا لا حد له . ان الحسنة الوحيدة التى أسديتها الى ، هى أنك جعلتها هى الأخرى تكرهك . أنا أرثى لأخى المسكين الذى لا مفر له من تحمل أحاديثك الجميلة . سوف تنتقل العدوى منك اليه . يوما ما ، عندما كنت صغيرة ، رأيت حشرة تزحف تحت أوراق الشجر ... كانت تترك أثرا طويلا لزجا وراءها . كلما أراك ، أفكر فى هذه الحشرة . فلا شك أنك تلوث كل من يحتك بك . أفسدت نفسيتى بأن جعلتنى أكرهك ... لقد رأيتك تضرب أمى لأنها أعطتنى قطعة من الكعك . وأنا الآن ، اذا رأيتك تعانى أقسى الملمات ... لن أمد يدى لمعونتك (فورسبرج وكان قد جلس بالقرب من المنضدة ، يبقى مكانه دون أن يبدى حركة ، ورأسه بين يديه) لماذا لا تجيبنى بشىء ؟ لماذا لا تمطرنى بوابل من شتائمك الوقحة الفظيعة ؟ أمن الممكن ...

أنك أنت تخفض بصرك ؟ لقد فهمت . أنت الآن في حاجة الى نقود . . . ولذا ، يهمك أن تظهر الندم كي ترقق قلبي .

فورسبرج : (يقوم ببطء) الوداع ، ياأليز .

اليز : أنت راحل ؟ قد قدرت اذن أنك لن تحصل على شيء ؟

فورسبرج : يكفيني ما حصلت عليه : الحقيقة (يذهب نحو الباب ، لكنه يقف) ومع ذلك ، فقبل رحيلي ، سأقص عليك خبرا يسرك . أعترف لك ، وصوتي يختنق بالدموع ، اني لم أعد أملك شيئا . قري عينا ! فأخوك العزيز قد رأى من الأفضل الفرار الى أمريكا آخذا معه كل ما كنت قد ادخرت من نقود . الخزانة الصغيرة التي كنت قد وجدتها يوما في المدفأة ، تذكرين ؟ . . . عرف كيف يزعجها من مرقدها تحت مرتبتي . وداعا ، يا نقودي الجميلة ! . . . أنت الآن تتبخترين بعظمة فوق أمواج المحيط ! ماذا كنت تقولين لي منذ لحظة ؟ . . . اني أترك أثرا لزجا سيئا . . . حقيقة ! مسكين هذا الصبي ، لا ريب أنه سوف لا يكون عظيما . . . كما كنت أحلم (سكون . اليز لا تجيب بشيء) أشكرك على شفقتك به ؛ أما اني لم أتناول طعاما منذ أمس ، فهذا لا أهمية له ،

وينبغى الا يفسد شهيتك . انى أتعود كل شيء . منذ هذا الصباح ، مضغت قطعة من الصمغ حولها خيالى الخصب الى طعام ناضج شهى ! فأنت ترين أن ليس الجوع ما يشقينى ! لكن هناك شيء آخر ... أخوك . أعينينى على انتشاله من وهدة السقوط الأدبى ! اعرف الباخرة التى اخذها وسوف يمكننى سريعا أن أعثر على الشاب المعجب بنفسه الذى صحب معطفى الذى لم ألبسه بعد ليريه العالم الجديد . اذا ما وطئت قدماى أرض أمريكا ، سوف أتكسب فى طرفة عين ... شيالا ، عتالا ، ماسح أحذية ... أرضى بكل شيء ؛ أنا لا آنف من شيء ، كما تعلمين ... يمكننى بواسطته أن أجمع الذهب لهذا الصغير . ولكن هناك أجرة السفر وهى باهظة . وليس معى درهم واحد . ولسوء الحظ ، لم يمض سوى يومين على مقابلتى لفيلسوفك الكريم وقد نفحنى المبلغ الذى يراه مناسبا لحماه العزيز . وهو ، ثقة منه بذوقى السليم الأصيل ؛ لا ينتظر زيارتى الا مرة على الأكثر فى كل شهر . من هذا يظهر لك أن الأمور تسير على أسوأ ما يمكن ... (اليز تبقى صامتة لا تجيب بشيء) على الأقل ، أجيبينى بشيء ! من المتعب أن يلقى الانسان هذه المحاضرة الطويلة دون مقاطعة .

الــــيز : لا أريد أن أساعدك .

فورسبرج : أوه ! أنا لم أشر أقل اشارة الى ذلك . على كل حال ... اذا فعلت ، فسوف لا يكون ذلك من أجلى أنا ! وانما تذكرى الفــــائدة العظيمة التى ستحصلين أنت عليها بأن تتخلصى منى الى الأبد . امنحينى ثمن تذكرة لهذه الرحلة البعيدة . ليس من الضرورى أن أسافر فى « قمرة فاخرة » ، يكفينى ركن رطب فى عربة الحيوانات . ياالهى .. هذا ليس عسيرا ! سوف تجــــدين بلا شك فى محفظتك الصغيرة مبلغا كان فى نيتك أن تشترى به قبعة جديدة . اقذفى به فى وجهى ... قائلة لا أود أن أراك بعد الآن ! (يتأوه بعمق ، ثم يقول بصوت ملؤه التضرع :) اعطنى شيئا ، ياأليز ، مهما كان ضئيلا !

(اليز تبقى مترددة برهة ، ثم تدخل الى غرفة نومها ، تاركة وراءها الباب مفتوحا . فورسبرج يمد رقبته ليرى من خلال فتحة الباب ماذا تفعل .)

اليـــز : (تعود . تعطيه كيس نقودها) خذ .

فورسبرج : (يفتح الكيس بجشع) أشكرك من كل قلبى ، ياطفلتى المعبودة . لحسن الحظ ، أنا واثق بأنك لن تخرجى ورأسك عارية ... (يعد النقود) ياللسماء ! ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ ، ٥٠٠ ، ٨٠٠ ،

١٠٠٠ و ١٠ ، ٢٠ ، ٢٤ « كورون » نقول ونكتب الف ومائة وأربعة وستين « كورون » ! انى ثمل من الفرح ! أنت جوهرة الفتيات ! ... ألف ومائة وأربعة وستون ... هذا كثير لا شك أنه سيحزننى صرف هذا المبلغ . اليز ، أنا مقدر لجميلك تقديرا لا حد له .

اليـز : لا تشكرنى ، واذهب من هنا ، سريعا . لا تظن أن كرهى لك قد خف فدفعنى ذلك الى اعطائك هذه النقود . اذا كنت قد ساعدتك ، فذلك لأنه ، بالرغم من كل شيء ، قد يؤرق ليلى ، أن أعرف انك لاتجد ما تسد به رمقك . انى أحتقر نفسى على هذا الضعف . الآن وقد عرفت فى هذا الضعف ، أسيء استعماله . ليس على الانسان الا أن يشكو ويتظاهر بالبؤس ... وفى الحال ، أضعف أمام ما فى نفسى من شفقة سخية (يسمع الجرس . ترتعد بعصبية) الجرس يدق ! هيا اذهب ، سريعا ! لقد أخذت ما تريد ، ماذا تنتظر ؟

فورسبرج : (ينظراليها) ما بال سحنتك قد تغيرت فجأة . يظهر أنك تنتظرين أحدا ... آه ! يحمر وجهها ، تضغط بيدها على قلبها الذى يدق ...

اليـز : اذهب من هنا !

فورسبرج : الزوج فى عمله ... والزوجة مع عشيقها ! أنا

لا أحب هذا ، انه شيء معتاد ومألوف جدا غير خليق بابنتى . ليس فيه أى طرافة .

اليـــز : نعم ، بكل تأكيد ، انه عشيقى ! وبعده ، سيأتى دور عشيق آخر . هذا لا يمكن ان يدهشك ، بعد التربية التى ربيتنى عليها . والآن وقد أشبعت فضولك ، هيا أخرج من هنا .

فورسبرج : لقد كنت دائما ميالة الى التراجيديا العالية ... لكن ذلك ، ياطفلتى ، ليس من ورائه نفع . قلت لك مائة مرة : تمتعى بالحياة . انتزعى منها كل سعادة ممكنة ! خذى الحياة من جانبها المرح ! ان المزعجات تأتى سريعا . يسرنى الآن أن أراك قد استمعت لنصحى . تهانئى الخالصة لعشيقك . الى الملتقى ، يابنتى .

(يمد اليها يده . اليز لا تمد يدها اليه .)

اليـــز : الوداع .

فورسبرج : هيا ... هات يدك ، ياأليز ! ... اذا ما غرقت فى هذه الرحلة ، سوف تنــدمين مع ذلك على أنك ...

اليـــز : (تتسمع بعصبية واضعة يديهـا وراء ظهرها) أخرج من أمامى ...

فورسبرج : (يبقى مـــادا يده) أجـــادة أنت ؟ ألا تريدين مصافحتى ؟

اليــز : كلا .

فورسبرج : (يهز كتفيه ، يذهب نحو الباب ثم يعود) وهكذا، قد نجحت فى الانتقام لنفسك ... قليلا ... (يخرج) .

اليــز : (تجرى الى الباب الآخر وتنادى) مارى !

مــارى : (تدخل) سيدتى ...

اليــز : من الذى دق الجرس ؟

مــارى : (همسا) السيد ڤيديل .

اليــز : ولم لم تخبرينى فى الحال ؟ أين هو ؟ أين هو ؟

مــارى : لم يكن فى استطاعتى مع ذلك أن أدخله طالما هذا الرجل هنا ! قلت له أن ينتظر برهة .

اليــز : اسرعى اذن بادخاله .

مــارى : (وهى تهز رأسها) مهلا ، مهلا ! ...

(تخــرج)

ڤيــديل : (يدخل فى الحال) صباح الخير ، ياأليز .

اليــز : (تجرى نحوه ، مادة ذراعيها) اريك (ولدى رؤية وجهه المتجهم ، تقف ، وبحركة يأس تدع ذراعيها يسقطان) أشكرك على مجيئك ...

ڤيــديل : أقرأ فى وجهك ، ياأليز ، أنك قد أمضيت ساعات شديدة الكآبة .

اليــز : ينبغى ألا يدهشك هذا .

ڤيــديل : أنا لا ألومك على شىء . لقد كانت غلطتى .

اليـــز : غلطتك ؟

فيـــديل : نعم . كان يجب أن أرجع لأصحبك معى بالقوة . كان على أن أدرك أنك كنت فى حاجة الى معونتى . لسوء الحظ حين تصدمنى خيبة أمل شديدة أو يتملكنى غضب شديد ، أتصرف دائما بعكس ما تمليه عاطفتى . ثم أندم ، بعد ذلك . آه ! لقد ندمت كثيرا !

اليـــز : لماذا لم تجب على رسائلى ؟ اذا كنت تدرك العذاب الذى أنا فيه . . .

فيـــديل : لقد فهمت كل شىء . كنت أتوقعه من قبل . وقد وضحته لك . انه يحبك ، وبكل وسيلة ، يريد أن يبقيك أسيرة عنده .

اليـــز : الآن ، صار أعمى . . .

فيـــديل : (هازا كتفيه) تهجرين أعمى ! . . . هذا كثير . سلاحه الآن أقوى .

اليـــز : لماذا لم تجب على رسائلى ؟

فيـــديل : كنت أريد أن أرغمك على الحضور أنت بنفسك .

اليـــز : لو أتتنى كلمة واحدة منك ، لحضرت اليك . . لا لشىء سوى أن أراك . . . أن أتوسل اليك أن تغفر لى . ولكنى لم أجرؤ ، كان صمتك يخيفنى (تطوق بذراعيها رقبة أريك) أريك . . . لقد سببت لى عذابا شديدا !

قيـــديل : (يعانقها بحزن) وأنا ، ياأليز ! كل يوم ، كنت انتظرك . . . كل يوم ، كنت أضع زهورا فى الغرفة التى أعددتها لك . وفى النهاية فقدت كل أمل ، ياأليز . قلت لنفسى ، لابد أنه بطريقة ما يرغمك بوحشية على البقاء أسيرة عنده وانه لا يمكنك التحرر . . . دون معونتى . لهذا جئت اليوم ، ياأليز ، لأساعدك مرة أخرى . . . أو لأودعك الى الأبد !

اليـــز : (مرتعبة) لتودعنى ؟

قيـــديل : أجل . لم يعد فى استطاعتى البقاء فى هذا البلد . . قريب منك وبعيد عنك . كل يوم ، هذا الأمل وهذا اليأس . . . لقد أعجزنى ذلك حتى عن مباشرة عملى . كلا ، كلا ! اليز ، أسألك لآخر مرة : أتريدين الرحيل معى ؟

اليـــز : (تسير فى الغرفة ، متأوهة ، تفرك يديها بيأس) يا الهى . . . يا الهى . . . أعنى ! لا أجرؤ . . . لا أجرؤ على فعل ذلك .

قيـــديل : اليز ، انى لا أفهم ! ما الذى يجعلك ترتجفين هلعا صائحة انك لا تجرؤين ؟ كل كائن على سطح الأرض عليه أن يهتم بصالحه . لا أحد يضحى بنفسه من أجلك ، ياصديقتى .

اليـــز : فى اللحظة التى أبرح فيها منزله ، سيقتل نفسه .

قيـــديل : آه ! هو هذا ! كان يجب أن أدرك ذلك . انه ماهر

جدا ولاشك ! يعرف بأى شبح رهيب كيف يخيف انسانا ضعيفا .

اليز : أريك ، هو صادق فى تصميمه . أنا واثقة من ذلك ! حياته ، حياة الأعمى الفظيعة ... لقد حدث مرة ، فعلا ، انى خطفت المسدس من يده .. كان ذلك يوم أطفىء فى عينيه آخر شعاع من النور . سألنى ما اذا كنت أرغب فى حريتى على الشروط التى كان قد وعدنى بها .

فيديل : أى دناءة ! ... فى أن يقيد امرأة بهذا التهديد الفظيع ! تأكدى : ان من يتكلم كثيرا عن الانتحار لا يقدم عليه ! ... اليز ، ليس هناك أقل خطر . تعالى معى !

اليز : واذا أقدم بالفعل ...

فيديل : ليكن ، وهل أنت مسئولة ؟ أى جنون ! أليس هو القائل بأن الانسان غير مسئول عن أفعاله هو نفسه ... الأولى ألا يكون مسئولاً عن أفعال غيره ؟

اليز : (بعد برهة) اريك ، هناك شيء لا تعرفه ، شيء رهيب ... كنت لا أود أن أصرح لك به ... انى أشعر ، بالرغم منى ، بأفكار شريرة ... بينما أعمل كل ما يمكننى كى أمنعه من ... من قتل نفسه ... فأنا أكاد أتمنى ... أن يفعل ذلك .

فيـــديل : آه ، ياصغيرتى المسكينة ، لقـد قلت لك : أنت فى نضال مع رجل اقوى منك بكثير . انه يشل تفكيرك ، يضلل قلبك .

اليـــز : نعم ، تنطق بالحقيقة . هو أقوى منى . انه يتحمل بنفس مطمئنة ما يسببه لى من أذى !

فيـــديل : اليز ، هيا معى ، لقد حان الوقت ! أتوسل اليك ، تعالى فى الحال ، دون أن تريه .

اليـــز : كلا ، هذا جبن . وسيكون فظيعا جدا على نفسى أن أعلم أنه انتحر .

فيـــديل : اليز ، هذه الحياة الموت أفضل لك منها ... سجينة هنا معه ، مراقبة ، مهددة ... دون أن يكون فى طاقتى أن أعينك فى هذه الحياة المرعبة.. أنا الذى يحبك ... أنا الذى تحبينـــه ! كلا ، وألف كلا ، هذا جنون ، هذا مخالف للطبيعة !

اليـــز : (ترتمى على المقعد وهى تنتحب) أوه ! لا تزد .. هذا كثير ... هذا كثير ! ... فوق ما أحتمل .

فيـــديل : (يمرر يده برقة على شـــعرها) لاتبك ... لا تبك ...

اليـــز : أراك ترحل ... دون أن أجرؤ على اللحاق بك .

فيـــديل : (محاولا أن يحتفظ بهدوئه رغم يأسه) اذن قد تقرر ... أنت لا تريدين ؟

اليـــز : أنا أدرك ذلك ... لأنى أعرف نفسى ... هذا فوق طاقتى .

فيـــديل : اذن ... لا أريد أن أستمر فى تعذيبك بعـــد الآن ... فى تعذيبنا نحن الاثنين . مادمت قد قررت ... الأفضل أن أرحـل أنا . الوداع . ياالیز (يتردد ، مؤملا دائما أن يراها تغير رأيها ، لكنها تبقى ساكنة . يقترب منها ويقبل رقبتها . تدير رأسها ناحيته . يضمها الى صدره ضـــمة يأس) تعالى معى ! أحبك ... سأجعلك تنسين ..

اليـــز : (باكية) لا أجرؤ .

(ڤيديل يتركها فجاة ويخرج)

اليـــز : (تبقى برهة وهى لا تكاد تعى ما حولهـــا ، ثم تجرى الى الباب) اريك ... ! (تخرج الى مدخل الشقة ، ويسمع صوتها تنـــادى) أريك ... أريك ... ! (الا أنه يكون قد رحل . فتعود وتلقى بنفسها على المقعد باكية) .

مـــارى : (تدخل . ترى اليز باكية . تتنهد هازة رأسها ثم تأخذ اليز برفق من ذراعها) سيدتى ... صغيرتى اليز ... السيد قد أتى . قد رأيت العربة من النـــافذة ... كفى ، كفى ، لاتبك هكذا ! سينتهى كل ذلك . أوه ! هؤلاء الرجال ! صدقينى انهم لا يستحقون (اليز تستمر فى البكاء) هيا ... هدئى روعك ... أستحلفك ! حتى

لا يلحظ سيدى شيئا ! ها هو ! جففى دموعك .
سأذهب لمساعدته .

(تخرج الى مدخل الشقة تاركة الباب مفتوحا . يرى كلينوف آتيا . اليز تقوم من المقعد ، محاولة أن تتمالك نفسها .)

كلينوف : (يدخل) صباح الخير (اليز لا تجيب) اليز ، أين أنت ؟

اليــز : هنـــا .

كلينوف : لماذا لا تأتين لرد تحيتى ؟

اليــز : (تذهب اليه) صباح الخير .

كلينوف : لماذا لا تمدين يدك الى ؟ (اليز تمد اليه يدها) ما بك ؟ يدك باردة ... ترتجف ! (يربت على خدها) وخدك ملتهب ... ماذا حدث ؟ (اليز لا تجيب) أجيبى ! ... حضر أحد الى هنـــا فى غيابى ؟

اليــز : (تاركة كل معارضة) نعم .

كلينوف : من الذى حضر ؟ (اليز لا تجيب) من ؟ من ؟

اليــز : هــو .

كلينوف : آه ! أهنئك . لقد تقدمت . فأنت الآن لم تعودى تحملين نفسك مشقة اخفاء كذبك .

اليــز : أنا لم أكذب عليك .

كلينوف : (بشدة) قلت لى انك ما كنت تنتظرينه .

اليـــز : لم أكن أتوقع حضوره .

كلينوف : ومع ذلك ، ربما كان عندك أمل ضعيف ؟ حسنا . وبعد ؟ ماذا قال لك حتى جعلك فى مثل هــذه الحـــالة ؟

اليـــز : انه راحل .

كلينوف : آه ! ... راحل ! بعيدا ، بعيدا عن هنا ، لينسى حبه ... وليشعل حبك أنت ، على ما أظن ؟ وزوجتى الصغيرة الجميلة كانت تود لو أتيح لها الرحيل معه ؟ لا بأس ... ارحلى . تعلمين ، أنك حرة .

اليـــز : نعم . ولكنى أعرف الثمن .

كلينوف : فى سبيل الحب ... كل شىء رخيص .

اليـــز : هذا هو رأيك ؟

كلينوف : بالضبط .

اليـــز : (وهى تنظر اليه) أنت تقول ذلك ؟ ... فى سبيل الحب ، كل شىء رخيص ؟ ... أنت ، الذى بفضل تهــديدك ، تفرق بينى وبين الرجـــل الذى أحب !

كلينوف : أنت لا تحبينه .

اليـــز : أنا لا أحبه ؟ ...

كلينوف : كلا ... وقد قدمت لى الاثبات على ذلك ... ما دمت قد بقيت عندى ومازلت باقية .

اليــــز : (وهى تنتفض من الغضب) بهـــذا اذن تفسر تصرفى ! لا يجب أن يدهشنى ذلك . أنت الذى تتحمل بنفس راضية ما تسببه لى من عذاب ، كيف تفهم الضعف الذى يبعثه فى نفسى شفقتى عليك ؟

كلينوف : آه ! أيتها المخلوقة النبيلة التى تضحى بنفسها من أجل الشفقة . خطأ وضلال . لا محل للشفقة هنا . لقد نجحت فى تمزيق الحجاب الذى كانت روحك مدثرة به . لقد جعلتك تلمحين ما هو أقوى ما فى العالم : الرغبة الشديدة ، تلك التى لا تخشى شيئا ، لا تقف أمام شيء ، تتابع طريقها حتى الموت . اثبتى أن حبك أقـــوى من حبى ... وحينئذ يكون لك الحـق أن تهجرينى . لكنك مازلت هنا ، هنا أمامى .. اليوم أيضا لم تجرؤى على اتباع رغبتك . قدرى ذلك جيدا أنت بنفسك .

اليــــز : يا الهى ... يا الهى ... لست الا كائنا بشريا ! اذا كنت تنكر حبى ... اذن ... اذن ... لم يعد فى استطاعتى ... ليثبت الانسان أنه يحب ، يجب أن يكون قادرا على ايذاء غيره ؟ حسنا ، سأحذو حذوك ! سوف لا أهتم بشيء سوى ... سأدفع الثمن . ولا تنس أنك أنت نفسك قد دفعت بى الى هذا العزم .

كلينوف : ليكن ما تريدين . اذا كنت فجـأة تعتقدين انك تحبين حبا عميقا يجعلك تتحملين العاقبة ، التى كانت حتى الآن تخيفك ، اذن فأنا أرضخ .

اليــز : وسأنفذ عزمى فى الحال ! وداعا ياجيرار . آسف على ايلامى لك .. ولكن ، ما دام ذلك ضروريا .. فأنا أدفع الثمن . الوداع .

(تذهب نحو الباب)

كلينوف : (يسرع اليها ليوقفها) انتظرى ، ياإليز . لقد وعدتك وما زلت عند كلمتى . ولكن عليك أن تنتظرى دقيقة واحدة ! باق اجـراء بسيط لم يستوف بعد . انتظرى !

اليــز : (عند الباب ، تستدير ملتفتة اليه) اجراء ؟

كلينوف : تذكرى ما قلته : « سوف لا ينـالك ، ما دمت حيا ! » اذن ينقصنا حل هذه المسألة الصغيرة ..

(يخرج مسدسا من درج مكتبه)

اليــز : (شاحبة) جيرار ... ماذا تريد أن تفعل ؟ ...

كلينوف : ولكنك تعرفين جيداً ... برهة قصيرة جـدا كريهة لك ... وبعد ذلك ، يأتى السرور وتأتى النشوة . لا أسألك سوى شىء واحد : أعيدى على سمعى أن عزمك ثابت . لا يجب فيما بعد ، أن تلومينى بينك وبين نفسك على تسرعى فى هذه اللحظة . أما زلت مصممة ؟ ... قولى نعم ... وأقسم لك انى لا أتردد . حسنا ... ها أنا

أنتظر ! أجيبى . كيف ؟ ... أنت التى تحبين الى هذه الدرجة ، تترددين ؟ (اليز تبقى بالقرب من الباب ، شاحبة ، ساكنة ، عيناها مغمضتان وشفتاها مضمومتان . كلينوف يهز كتفيه) ألا تريدين أن تجيبى ؟ حسنا . قد يكون فى طلبى ما يبهظك ... سأجعل واجبك أخف حملا : لا تمنعينى من قتل نفسى ! الوداع ، يااليز . لا أحسدك على سعادتك ... سوف لا أشعر بها . بعد دقيقة . تصيرين حرة .

(يفتح باب غرفته ليدخل اليها)

اليــز : (تسرع اليه ، مذعورة ، وتمسك المسدس من يده) لا ... لا ... اعطنى المسدس ...

كلينوف : (وهو لا يريد أن يترك المسدس) احترسى ...

اليــز : (منازعة اياه) اعطه لى ... اعطه لى ...

كلينوف : (تاركا المسدس) ولكن احترسى ، يااليز ... قد تخرج منه طلقة ! ...

اليــز : لقد أدركت الآن ... انه محال أن أتركك (متأوهه) سأظل مقيدة ... سأظل مقيدة ...

كلينوف : (صائحا) ... مقيدة بحبى ، يااليز ! أدركى قوته ... سأظل عالقا بهذه الحياة المريرة ، سأحتمل الحياة كحطام بشرى تعس ، لأبقى الى جانبك ، لأسمع نغمة صوتك ...

اليـــز : نعم ، قد أدركت قوتك ، أيها الأنانى القاسى . تسمى هذا حبا ، سلبى سعادتى ... تهديدى .. تعذيبى ... لقد كان على حق ... حياة مثل هذه ... الموت أفضل منها .

كلينوف : (ينتابه شىء من القلق فجأة ، يقترب منها) أين المسدس ؟ اعطه لى ...

اليـــز : خذه من يدى ...

(تدير ظهرها اليه . تخطو بسرعة بضع خطوات نحو صدر الغرفة . تنحنى الى الامام وتضغط زناد المسدس موجهة فوهته الى قلبها . تسمع طلقة مكتومة وتسقط ميتة ، ووجها الى الارض)

كلينوف : (صارخا) اليز ... اليز ... أجيبى ! (يسير متخبطا فى مشيته للعثور عليها ، يجثو على ركبته بالقرب من جثتها ينبعث منه صراخ كالعواء) اليز ! لا ، لست ميتة ... لا ، لا ، هذا لا يمكن أن يكون حقيقة ... (يرتمى عليها) ميتة ! لا ، لا ... حبيبتى ... أحبك ... أحبك ... (يصمت برهة ، ثم يدمدم بجنون :) هى لى ... حصلت عليها ... لقد ضحى الجمال بنفسه من أجلى ... أيها القدر ... قد عفوت عنك .

ســـتار

روائع
المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات
عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهر

مطبع

الثمن ١٠ قروش